الباب الثانى

أصول نظرية النقد عند ألطاف حسين حالى

- الفصل الأول: أصول من التراث الشرقى القديم.

(الأردى - الفارسى - العربى)

- الفصل الثانى: أصول من التراث الغربى.

(اليونانى - الإنجليزى)

- الفصل الثالث: مقدمة شعر وشاعرى.

(دراسة وصفية تحليلية نقدية)

obeikandl.com

الفصل الأول

أصول من التراث الشرقى القديم

١ - أصول من التراث النقدى الأردى.

٢ - أصول من التراث النقدى الفارسى.

٣ - أصول من التراث النقدى العربى.

obeikandl.com

١ - أصول من التراث النقدى الأردى

ظهرت الآراء النقدية فى الشعر الأردى أو ما ظهرت متأثرة بأراء الناقد الشخصية والذوقية فى الشعر فكان الشعر الجيد - من وجهة نظره - هو الذى يضم فى ثناياه ما اتفق من لمسات جمالية تتفق وذوق العامة فضلاً عن الخاصة، وكان الشعراء والنقاد مهتمين - كالنقد العربى القديم - بالبديع والمحسنات وعلوم البلاغة الأخرى وبالنقد اللغوى أكثر من أى شىء آخر، وكان النقد يعتمد على النظر فى طبيعة الشعر من ناحية خلوه من الأخطاء اللغوية وفصاحة الألفاظ وبعده عن التعقيد اللفظى وسلامة الوزن والقافية، وكانت تقاس مقاييس جودة الشعر بمدى تأثيره على عدد أكبر من الجمهور، لذا كان النقد الأردى يخضع للأذواق وليس لقواعد معينة يستطيع بها الناقد أن يقيم الشعر وفقاً لها، فكانت (مقدمة شعر وشاعرى) بمثابة بداية للنقد المنهجى المنظم القائم على أسس وقواعد نقدية ثابتة.

وكانت هناك لمحات نقدية فى الأردية قبل الحركة الفكرية التى أحدثتها مجلة (تهذيب الأخلاق)، ولكنها كانت نتفا مفرقه وفقرات مبعثرة، ففى الأردية الدكنية القديمة أشار (ملا وجهى) فى قصص الحب (قطب مشترى) و(سب رس) إلى خصائص الشعر الأردى ويبدو من قراءة هذه الأراء أن ملا وجهى كان لديه إحساس بالشعر الجيد، وهذا الإحساس فى حد ذاته يصبح معياراً للفكر النقدى ومع أن تفكيره غير مترابط إلا أنه يلفت انتباهنا إلى التفكير فى نقد الشعر.

وتوجد الميول النقدية بطريقة متفاوتة وغير منظمة عند شعراء شمال الهند، فمثلاً تلوح بعض الأفكار النقدية فى صورة أشعار متفرقة عند كل من ولى وشاه حاتم ومرزا مظهر جان جانان وخان آرزو وميرتقى وسودا وغيرهم فتقل عند أحدهم وتزيد عند الآخر.

ويعتبر نقد مير محمد تقى(*) على مراثى سودا هو العمل النقدى الأول فى النقد الأردى، وربما لا يمكن أن نجد نموذجاً أفضل وأكمل منه فى النقد الأردى القديم لأنه بحث فى بعض أصول الشعر علاوة على بحثه فى اللغة، وبالإضافة إلى ذلك يوجد أراء

(*) هو شخصى آخر غير « ميرتقى مير » الشاعر المعروف.

نقدية متفرقة فى مجلة «عبرة الغافلين» و«مقدمة سودا» و«مقدمة ديوان زاده لشاه حاتم» و«چمنستان شعرا» لشفيق اورنگ آبادى، لكن هذه الآراء النقدية لم تكن ترجمانا لأفكار الشاعر ولم تلق الضوء على ما هية الشعر ولم تفتح الباب للبحث فى النظريات النقدية ولم توضح حقيقة الشعر، وعلى الرغم من أن شعراء الأردية كانوا يهتمون بالبساطة والصدق والحرقة والإخلاص فى الشعر إلا أن الجزء الأكبر من أشعارهم كان يخلو من هذه الخصائص(١).

وكانت المرحلة التالية للنقد الأردى متمثلة فى تراجم شعراء الأردية التى تحتوى على كثير من الآراء المفيدة وبعض التعليقات النقدية القيمة فيما يتعلق بفن الشعر ولغته ونلمس فيها بعض الإحساس بالجانب المفيد للشعر - وخاصة عندما بدأت الصحف والمجلات فى الصدور فى مختلف أنحاء الهند - فمثلاً نجد فى تذكرة «شميم سخن» عام ١٨٧٢م لعبد الحى صفا بدايونى بحثاً فى أصول الشعر وقواعده وتأثيره والجانب الأخلاقى المفيد فيه وهكذا فقد كتب كثير من شعراء الأردية تراجم للشعراء ولكن هذه التذاكر(*) كتبت فقط لملء الفراغ فى هذا الفن وكتحصيل حاصل وكان كل مؤلف يكتب هذه التذاكر طبقاً لما يمليه عليه ذوقه الخاص، وعلى الرغم من ذلك فهناك فى الأردية تذاكر قيمة تحظى باحترام النقاد حتى اليوم ومنها تذكرة «نكات الشعراء» لمير وقد نالت أهمية عظمى لأنه بين فيها أقسام الشعر فى لغة «الريخته» ولم يطعن أو يلعن فى الشعراء ولم يستغرق فقط فى التحسين والتقبيح بل أبدى آراءه الصائبة فى بعض الأماكن، ويقول كليم الدين أن(٢): «البصيرة النقدية النافذة عند مير تتفوق كثيراً على آزاد فلم يكن مير يكتب أى رأى إلا بعد التفكير فيه، ولكنه كان يكتب رأيه باختصار شديد ولذلك فآراؤه محدودة فى بعض الأماكن فمثلاً آراؤه بالنسبة لدرد وسودا لا يوجد بينهما أى فرق جوهرى ظاهر سوى أن «سودا على رأس شعراء الهند وهو شاعر مجيد»، ودرد «كالعندليب الذى يصدح فى الرياض» فلا يمكن بهذه الجمل الوصفية أن تتضح شاعرية الشاعر ولا أن نعرف ذوقه الشعرى لكن مع هذا تتجلى البصيرة النقدية النافذة فى آراء تذكرة «نكات الشعراء» بوضوح على الرغم من جميع التذاكر الأخرى ليس لها أهمية كبيرة من الناحية النقدية بداية من «مخزن النكات» و«مجموعة نغزدى تاسى»

---

(١) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(*) المقصود هنا بكتب «التذاكر» كتب تراجم الشعراء التى تتناول حياتهم إلى جانب الاهتمام باشعارهم.

(٢) كليم الدين أحمد: اردو تنقيد برايک نظر: ص ٤٢.

و« طبقات الشعراء » لكريم الدين حتى گلشن بے خار لشيفته.

وكل ما كان يميز هذه التذاكر هو كتابة حياة الشعراء ومختارات من أشعارهم مع إبداء الرأى النقدى الموجز عليها وكان هذا الإطار النقدى ناقصاً تماماً فقد كتبت كتب التذاكر هذه تقليداً لأهل إيران فى كتابه التراجم وليس من أجل إظهار الشعور النقدى وعلى حد قول كليم الدين أحمد أن أعظم رأى فى كتب التذاكر هو أن الشاعر « بسيار خوشگواست » أى شاعر مفلق.

ويرى كليم الدين أحمد أن القول بوجود النقد الأردى هو مجرد افتراض، وبذلك ظلم كثيراً من كتب التذاكر الأردية القديمة التى تحتوى فى معظمها على كثير من الإشارات النقدية اللطيفة والأحكام الدقيقة الصائبة، وصحيح أن الأدب الأردى قد استفاد استفادة عظيمة من ذخائر التراث العربية والفارسية، كما قلد كتاب التذاكر فى الأردية طريقة النقد العربى والفارسى، ولكن لأنهم لم يتعلموا اللغة العربية جيداً وكانت معلوماتهم عن الأدب الأردى ناقصة وضعيفة، فإن ما كتب فى كتب التذاكر الأردية يعتبر فى حكم الرموز الغامضة بالنسبة لكثير من النقاد فى العصر الحاضر(١).

وترجع هذه الرموز والمصطلحات الموجودة فى كتب التراجم القديمة إلى أسلوب تنميق العبارات، لكن بعد الإلمام بعلوم البيان والمعانى والبديع سوف يتضح كم كان يتمتع كتاب هذه التذاكر بوجهة نظر عميقة وغزارة فى المعلومات وبأحكام صحيحة صائبة عدا بعض المواضع، وصحيح أن كتاب تذاكر الشعراء فى الأردية كانوا يفرضون على القراء أن يلموا بمبادىء علوم البيان والمعانى والبديع، ولذلك يسىء المثقف الظن بتلك التذاكر القديمة وترسخ فى ذهنه هذه الفكرة وهى أن النقد مفقود تماماً فى تلك التذاكر.

وتشتمل هذه التذاكر على الأحكام العامة مثل: فلان فارس المعانى وفلان ملك الألفاظ وهذا يرجع صدفة إلى أن النثر الفارسى الذى انتشر وراج فى الهند وعرف بالأسلوب الهندى، كان مبنياً فى أغلبه على المحسنات والتكلف والمبالغة، ولذلك مالت كتب التذاكر التى كتبت بالفارسية إلى تنميق العبارات والسجع والذى اختاره الكتاب المشهورون فى العصر القاجارى وازدهر على أكمل وجه فى العصر المغولى، وقد قلد

---

(١) سيد عابد على عابد: اصول انتقاد ادبيات، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

كتاب التذاكر الأردية الأسلوب الفارسى، ولذلك كان الإطلاع على الكتب الفارسية والعربية التى يوجد بها قواعد النقد وأصوله بالتفصيل فرضاً على كتاب التذاكر الأردية القديمة بخصوص نقد الأدب بصفة عامة وموضوع نقد الإبداع الشعرى بصفة خاصة وكان هذا يستلزم من القراء العلم بجميع المصطلحات المتعلقة بعلوم البديع والبيان والمعانى، كما يجب والتى بالتغاضى عنها يعتبر قراءة التذاكر عمل غير مفيد.

ولقد حدد كتاب التذاكر مكانة كل شاعر وأهميته وأقروا مقايس محددة لشعر فحول الشعراء، وكان أكثرهم يكتبون أن الشاعر فلان يوجد فيه طبع شعر سوداً أو طريقة شعر مير ومن المفترض أن لدى القارىء علماً بنوعية فن مير وسوداً وعندما نعلم أن الشاعر فلاناً منسوب إلى مدرسة مير فسوف يتسنى لنا حين ذلك نقد شعره والبحث فى خصائص هذه المدرسة الشعرية التى ينسب إليها هذا الشاعر أو الذى تأثر بها، وقد قام كتاب التذاكر بعمل مفيد عندما اختاروا الأشعار التى يبدو منها بعد إمعان النظر فيها أنها فى الأصل جزء من النقد فإذا انتخب كتاب التذاكر أشعاراً جيدة فإن أذواق القراء ستصبح سليمة بقراءتها، ويبدو أنه مادام الذوق السليم مفقوداً فإن الجهود النقدية لا تستمر بل تكون ضارة للقراء.

وبقراءتنا لكتب التذاكر الأردية القديمة مثل(١):

١ - چمنستان شعرا: تأليف لكشمى نرائن اورنگ آبادى (بالفارسية).

٢ - گل عجائب (يعنى تذكرة شاعران): تأليف أسد على خان تمنا اورنگ آبادى عام ١٩٩٢ هـ (بالفارسية).

٣ - گلشن هند: تأليف مرزا على لطف سنة ١٨٠١م (بالأردية).

٤ - مجموعة نغز: تأليف مير قدرت الله قاسم وانتهى من تأليفها عام ١٢٢١ هـ (بالفارسية).

٥ - گلستان بے خزان: والمعروفة باسم «نغمه عندليب» تأليف سيد قطب الدين باطن عام ١٢٦١ هـ.

٦ - تذكرة «نصر الدين آزرده» المتوفى عام ١٢٨٥ هـ.

---

(١) سيد عابد على عابد: اصول انتقاد ادبيات، ص ٢٤٠، ٢٤١.

نرى أن هذه التذاكر القديمة تتميز بسمات مشتركة فى أحكامها النقدية وطريقة اختيارها للمختارات الشعرية بل ونفس العبارات والألفاظ النقدية:

١ – يوجد فى كتب التذاكر القديمة نقد وإشارات نقدية.

٢ – ربما لن يحصل القارئ على فوائد عظيمة من قراءة التذاكر بدون أن يلم بعلوم القافية والعروض والبديع والبيان سواء كان ذلك فى النقد أو فى الأحكام النقدية.

٣ – أن الكلمات التى يعتقد أنها مجرد بارات منمقة هى فى أكثرها عبارات من الرموز والمصطلحات.

٤ – لقد تحددت منزلة الإبداع الفنى لشعراء الأردية حينما راعى كتاب التذاكر مدرسة الشعر الفارسى.

٥ – أقرب التذاكر مقاييس للنقد ومعايير لشعر فحول الشعراء فى الأردية وهذا الأمر معروف ومسلم به وله أهمية أساسية فى النقد الأردى.

وبذلك يكون لنقد هذه التذاكر أهمية كبرى فى تطور النقد الأردى، فقد ركزت كتب التذاكر الأردية على أمور مشتركة هى: انتخاب أبيات شعرية من أفضل أشعار الشاعر طبقًا للذوق الشخصى لمؤلف التذكرة، وتحديد مرتبة الإبداع الشعرى ومنزلته وتبسيط الصعاب من أجل شرح الشعر والبحث عن مدارس الشعراء التى ينتمون إليها بعد توافر عدد من الشروط المعينة على شعرهم يجعلهم ينتسبون إلى هذه المدرسة أو تلك. ولا شك أن إطلاعنا على وقائع حياة الشعراء يساعدنا فى فهم إبداعاتهم الشعرية بالإضافة إلى هذه الوقائع تكون فى بعض الأوقات بمثابة تمهيد الطريق أمام النقد الصحيح، غير أن كتاب التذاكر يتفاوتون فى اهتمامهم بحياة الشعراء لأن فى اعتقادهم أن النقد اصحيح كان ممكنا بدون تناول حياة الشعراء وهذا محل خلاف بين وجهتى النظر القديمة والحديثة لأن كتاب التذاكر لم يعتبروا ذلك ضمن تخصصهم بحيث يكتبون هذه الوقائع بالتفصيل لأن كتابه التذاكر ليست كتبا للسيرة الذاتية أو التراجم وعندما نراعى هذا الأمر فإن كثيراً من الاعتراضات والنقد على طريقة تأليف التذاكر سوف يزول تلقائيًا.

والوجه الثالث للنقد الأردى يوجد فى كتب التذاكر التاريخية التى تطورت عن كتب التذاكر فقد كانت كتابة التاريخ الأدبى آخر مرحلة من كتابة التذاكر وقد نشر

محمد حسين آزاد كتابه (آب حيات) عام ١٨٨٠ م وهذا الكتاب يعد آخر صورة من صور التذاكر وعلى الرغم من أن كتاب «آب حيات» نال أهمية نقدية خاصة فى القرن العشرين إلا أننا يجب ألا ننخدع به لأنه لم يكن كتابا نقديا بالمعنى الحديث بل يمكن تصنيفه فى عداد كتب تواريخ الأدب، وقد كان آزاد يتميز بالإحساس الذاتى اللطيف والجاد بحيث أن بعض آرائه النقدية قد حازت أهمية خاصة فهو يذكر القصص والحكايات على غرار كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى بعد أن ينقد كل حكاية أو قصة بأسلوب بديع رائع. ولم يكن آزاد أول من حدد طبقات الشعراء بل أن ميرتقى مير وقائم ومير حسن قد قاموا قبله بتحديد هذه الطبقات، لكننا نسلم بأن آزاد كان أول شخص أجرى دماء الحياة فى عروق كتب التذاكر التى كانت بلا روح وحتى الآن فقد كتب شعراء الأردية العديد من كتب التذاكر الأردية والفارسية إلا أنها تفتقد إلى وجهه نظر الشعور بالفن والذى كان مع بداية تأليف هذه التذاكر وقد بدأت الفترة التاريخية فى النقد الأردى بمحاولات آزاد وبجهوده ولذلك يشعر القارئ بالناحية التاريخية بعد قراءته لوقائع حياة الشعراء ومختارات من شعرهم مع تناوله لشخصية الشاعر وبيئته وأهم الأحداث فى عصره(١).

ويعتبر كتاب (آب حيات) إضافة جديدة فى كتابة التراجم وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة لأسلوبه الشيق الممتع ولسحر ألفاظه، وقد سحر الناس بسبب طابعه القصصى. وبدأ أكثر المثقين يعتبرون بعض الأحكام المتعصبة فى (آب حيات) صحيحة أيضًا وكان ما كتبه آزاد فيما يتعلق بغالب وذوق قد وصل صداه إلى الكليات والمجلس الأدبية، واستمر هذا الاعتقاد بتفوق ذوق أستاذ آزاد على غالب وقد كان كتاب (آب حيات) بمثابة حل لطلاسم الأدب الأردى بعد أن فتح أبواب الأسرار والرموز التى فيها.

ثم جاءت تذكرة (گل دعنا) التى كان الهدف الأصلى من تاليفها كشف الأخطاء والعيوب التاريخية فى تذكرة (آب حيات). أما (خمخانه جاويد) فقد الفت لشرح الأسلوب القديم ويقل فيها النقد وقد قام مؤلفها بالتعريف بكثير من الشعراء المغمورين(٢).

على أن بداية النقد بالمعنى الحقيقى فى الأردية بدأ مع حالى وقد اعترف النقاد أن النقد الأردى بدأ وانتهى «بمقدمه شعر وشاعرى» فقد بدأ حالى بنقد الشعر الأردى

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) سيد عابد على عابد: اصول انتقاد ادبيات. ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

القديم وكان يقصد بذلك تحطيم دائرته المحدودة وبذلك ظهر الشعور النقدى الواعى لدى حالى وهو أفضل مميزاته، وقد تعرض حالى للأسس النقدية الأولية وسلم بأن هناك خطأ فى فهم ماهية الشعر وأن ثمة علاقة بين الشعر والأخلاق وقام ببحث فى فنون الشعر الأردى كما أن النموذج الذى قدمه للعملية الإبداعية ليس له نظير فى الأردية وأن عمق التفكير والشعور النقدى يتجلى فى كل موضع من «مقدمة شعر وشاعرى».

النقد الأردى قبل حالى:

كانت الأفكار النقدية الجديدة قد ظهرت قبل حالى فى «مقالات گارسان دى تاسى» و«مجلة تهذيب الأخلاق» التى أصدرها السير سيد بعد عودته من لندن وكذلك الصحف والمجلات الأخرى، كما أن حالى نفسه كان قد أظهر استياءه وتبرمه من طريقه الشعر القديم فى مسدسه ولكنها كانت أفكارا نقدية وتعليقات مبعثرة تحتاج إلى بناء كامل متماسك وقد استفاد حالى من هذه الآراء النقدية ورتب منها قواعد منظمة للنقد الأردى، وبذلك مهد حالى الطريق للتوفيق بين الميول والنزعات الجديدة فى الشعر الأردى وأسس قواعد هذا الفن بعد أن مزج بين الأفكار والنظريات الجديدة وحاول إيجاد نوع من التوافق بينهما(١).

وقد كانت بداية الشعر الجديد قد ظهرت على يد محمد حسين آزاد الذى كان من أوائل المتأثرين بالثقافة الإنجليزية، ولذا أقام ندوات شعرية جديدة فى جمعية البنجاب «انجمن بنجاب» وكان الشعراء ينظمون الشعر فيها فى الموضوعات بدلاً من اختيار مصرع من بيت شعر ينظم الشعراء حوله قصائدهم كما كان يحدث فى الندوات الشعرية القديمة، وكان من مآثر هذه الندوات مجموعة من المثنويات الرائعة من حيث البيان واللغة والتراكيب والصفاء والبساطة والسلاسة مثل مثنوى «آفتاب» و«خواب امن» لمحمد حسين آزاد ومثنوى: «نشاط اميد» و«حب وطن» و«تعصب وانصاف» و«بركهارُت» فكانت هذه الندوات الشعرية الجديدة بداية لظهور حركة إصلاح واسعة فى الشعر الأردى بتأثير من الشعر الإنجليزى والثقافة الغربية وقد اعترف حالى بنفسه برياده آزاد للشعر الجديد إلا أن طبيعة آزاد لم تكن ملائمة لإصلاح الشعر ولم يستطع أن يكمل محاولاته لإصلاح الشعر الأردى إلى النهاية فنال حالى شرف الزعامة والريادة للشعر الجديد ومن ثم تصنيفه للكتاب النقدى الأول فى الشعر الأردى والذى كان المرجع الأول فى النقد الأردى لمن جاء بعده.

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

مقدمة شعر وشاعرى

تعتبر «مقدمة شعر وشاعرى» لـ ألطاف حسين حالى أول كتاب منهجى فى النقد الأردى، وقد بحث فيه – لأول مرة فى الأدب الأردى – عن ماهيه الشعر وطرح العديد من التساؤلات الحيوية الملحة ووضع لها الإجابات المناسبة وبين فيه أهداف الشعر ومدى تأثيره على الجمهور وذكر النظريات والأفكار النقدية بوضوح تام وأرسى بذلك قواعد ثابتة للنقد فى الشعر الأردى.

وكانت فكرة إصلاح الشعر الأردى تدور فى ذهن حالى وخاصة فى ظل الإصلاحات التى كان يموج بها المجتمع الهندى فى عصره ولذلك كان يبدى هذه الرغبات فى إظهار أفكاره من وقت لآخر فى مؤلفاته التى تتعلق بالشعر مثل «مسدس حالى» و«حيات سعدى» و«يادگار غالب» وقد قام فى خاتمة كتابه «حيات سعدى» ببحث مفصل عن كيفية إصلاح الشعر ثم اتخذت آراء حالى المتفرقة هنا وهناك طريقة منظمة ومرتبة عندما طبعت فى صورة «مقدمه شعر وشاعرى».

وقد اعترف حالى يتبرمه بطريقه الشعر القديم واتجاهه ناحية الأفكار الغربية التى كانت حركة على گرط هـ تدعو إلى التمسك بأهدابها فالف محمد حسين آزاد كتابه «آب حيات» وكتب نذير أحمد العديد من قصصه المعروفة «توبة نصوح» و«مرآه عروس» و«بنات نعش» وكان من نتيجة هذه الحركة الفكرية التى تدعو إلى إصلاح الأدب بعامة والشعر بخاصة أن عقد حالى العزم على ترتيب «مقدمة شعر وشاعرى» للبحث فى ماهية الشعر وتأثيره على المجتمع والأخلاق القومية وحاول فيها إصلاح فنون الشعر الأردى: الغزل والقصيدة والمرثية والمثنوى وكان هدف حالى من تاليف المقدمة – كما كشف عن ذلك فى أحد خطاباته فيقول: (أريد أن أكتب موضوعا طويلا ومفصلا فى شعر المسلمين وأبين فيه حقيقه الشعر من العصر الجاهلى حتى اليوم وأبحث فى شعر اللغات الثلاثة: العربية والفارسية والأردية والهدف من ذلك هو إصلاح الشعر الأردى الذى وصل إلى مرحلة متردية من الركاكة والضعف ولبيان أن الشعر المبنى على أصول ثابتة قوية يمكن أن يفيد المجتمع»[1].

---

(١) خطاب باسم خواجه تصديق حسين بتاريخ ٣ فبراير ١٨٩٤ (مكتوبات حالى) جلد دوم.

ونعرف من «مكتوبات حالى» أنه ظل مشغولا فى ترتيب المقدمة من حين لآخر فكان يريد رؤية مجلة «نحله» التى كانت تصدر باللغة العربية فى لندن وأنه قد بحث طويلا عن كتاب «المزهر» لجلال الدين السيوطى وسافر إلى على گرط هـ و«ناهن» لهذا الغرض.

وقد استعان حالى على تحقيق هذا الهدف بالمراجع العربية فى الشعر والنقد مثل «المزهر» للسيوطى ومقدمة ابن خلدون والعمدة لابن رشيق والموشح للمرزبانى والعقد الفريد لابن عبد ربه والحماسه لأبى تمام ورجع إلى هذه الكتب واستشهد بها فى كثير من قضايا الشعر والنقد.

كما استعان أيضًا بالنظريات والأفكار الإنجليزية ويوجد تأثر واضح فى المقدمة بأفكار: ميلتون ومل وشيكسبير وميكالى وغيرهم على الرغم من أن حالى لم يقرأ أى كتاب مستقل أو باللغة الإنجليزية مباشرة فيما يتعلق بنظريات الأدب الغربى فقد كانت استفادته من النقد الإنجليزى قاصرة على الكتب الإنجليزية والمترجمة والمقالات التى تناولت هذه النظريات فى مجلة «بنچابى اخبار» وعلى گرط هـ اخبار «ومجله معهد على گرط هـ «وتهذيب الأخلاق» وكان قد انقضى من عمر حالى آنذاك ستة وستون عاما ونضجت أفكاره، لذلك بدأ فى كتابه «مقدمة شعر وشاعرى» فى مايو أو يونية عام ١٨٩٢ م وانتهى من كتابتها فى سبتمبر ١٨٩٣ م فى على گرط هـ[١] وتقع هذه المقدمة فى مائتى صفحة وطبعت فى مطبعة نامى بريس بدهلى عام ١٨٩٣ م وطبع معها ديوان حالى ووضع لهما عنوان مشترك هو «مقدمة مع ديوان حالى» ثم نشرت المقدمة منفصلة عن الديوان فيما بعد باسم «مقدمة شعر وشاعرى» وكان الذى كتبه حالى فى المقدمة بالمقارنة بظروف البيئة وأوضاعها يعد طفرة جديدة فى تذوق النقد فى عصره وأعظم من أى كتاب آخر فى النقد الأردى.

وقد ارتفعت صيحات الاستحسان وغوغاء المعارضة من كل صوب وحدب واحتدم النقاش والمعارضة فى مدرسة لكناؤ لأن هذه المقدمة جاءت بطريقة جديدة فى فن النقد وأصبحت كل أشعار الشعراء عديمة النفع فى هذا الوقت بسبب هذه الآراء النقدية فقد كان النقد قبل حالى يهتم بالعروض والقافية والرديف، والألفاظ والتراكيب والصنعة اللفظية واستعمال التعبيرات الأدبية الشائعة لإثبات تفوق الشاعر وأساتذة الشعر

---

(١) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا: ص ١٤٤ – ١٤٥.

ويهتمون أيضًا بالتذكير والتأنيث الذى كان يعتبر من معضلات نقد الشعر فى ذلك الوقت.

وقام حالى بعد أن ترك هذه الطريقة التقليدية القديمة فى النقد ببحث فى قواعد الشعر الأساسية وتساءل عن الهدف الأصلى من الشعر وأين يقع منه فن الشعر الأردى؟(١).

وكتب عابد حسين يقول: «إن هذه المقدمة مرآة لجده الخيال وسعة الأفق وحسن الذوق لأن أى شخص ينتقد الشعر وهو ليس بشاعر يقع فى أخطاء كثيرة نتيجة الظن والحدس والتخمين والقياس ولأن حالى شاعر فقد تناول مسائل الشعر الجوهرية جنبًا إلى جنب مع دقائق هذا الفن وتعرض لروح الشعر». وقد اعترض حالى على مدرسة لكناؤ الشعرية لجعلها الشعر والغزل بصفة خاصة محصورين فى رقة الخيال والمحسنات اللفظية. والحقيقة أن الذين اعترضوا على حالى لم يثبتوا بُعد النظر وسعة الأفق فى كتبهم التى قدموها على الرغم من وسائل المعلومات المختلفة والمتاحة فى عصرهم وعلى كثرة ما استفادته بالنقد الغربى عن طريق الكتب المترجمة للأردية.

وقام حالى ببحث فى الغاية المثالية للشعر وقام ببيان ماهية الشعر مع أمثله واضحة ومفصلة لآراء النقاد والشعراء الشرقين والغربيين واحتوت على كم هائل من المعلومات ولهذا السبب تعد أول كتاب فى فن النقد الأردى ومن أعظم مزايا هذه المقدمة أن مؤلفها كان لا يعرف اللغة الإنجليزية وقام بفتح الباب على مصراعية للأفكار النقدية الحديثة ونظرية الخيال إلى جانب مطالعته لطريقة الشعراء القدامى، لكن للأسف فقد طبعت مقدمات كثيرة بلا فائدة فى دواوين عديدة فى عصرنا الحالى تقليداً لهذه المقدمة وكان مرجعها فى الحقيقة «مقدمة شعر وشاعرى ولم تأت بجديد فى النقد الأردى»(٢).

---

(١) صالحه عابد حسين: يادگار حالى: ص ٣٠٠ – ٣٠٢.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٣٦٥ – ٤٥٥.

الأصول الأردية فى مقدمة شعر وشاعرى

رجع حالى فى مقدمة شعر وشاعرى إلى كثير من كتب التذاكر والتراجم الأردية ودواوين شعراء الأردية وإلى ذخائر التراث الشعرى الأردى إلى جانب المقالات المختلفة التى كانت تنشر من حين لآخر فى مجلة «تهذيب الأخلاق» و«معهد على گرط هـ» فيما يتعلق بنقد الشعر الأردى، **وقد استفاد حالى من هذه الأصول الأردية فى تأليف المقدمة ولكنه لم يصرح إلابثلاثة مراجع فقط وهى على التوالى:**

١ - تذكرة «نصير الدين آزرده» ت ١٢٨٥ م:

وهى فى تراجم شعراء الأردية وكتبت باللغة الفارسية ونقل حالى من «تذكرة آزرده» خبراً يتعلق بأستاذية ميرتقى فى الشعر وبراعته فى أداء الأساليب المبتذلة بأسلوب رائع بديع لا يضارعه فيه أى شاعر آخر. فيقول: «كتب آزرده الدهلوى فى تذكرته عن مير الذى يعتبره الناس أستاذاً عظيما فى الشعر الأردى بأن «أشعاره السامية غاية فى السمو وأشعاره المبتذلة غاية فى الابتذال». لأنه قد جاء بأشعار بنفس الأسلوب والأفكار العادية التى استمر فى استعمالها الشعراء منذ قرون عديدة ومع هذا فقد استعملت أكثر هذه الأفكار التى بلغت أعلى درجات البساطة والصفات - بأسلوب بديع فريد لا نجد له مثيلا. وتوضيحا لهذا الأمر تقدم لكم هذه الواقعة فقد اجتمع ذات يوم فى مجلس آزرده عدة أصدقاء وكان من بينهم مؤمن وشيفته فأنشد هذا البيت من قصيدة مير الغزلية التى استعمل فيها:

(خاكـ مين - چاكـ مين - هلاكـ مين) كقافية ورديف:

* ابكے جنون مين فاصلة شايدنه كچھ رهے.. دامن كے چاكـ اور گريبان كے چاكـ مين(١).

ولاقى هذا البيت مدحًا كثيرا وأراد الجميع أن ينظم كل شخص فى هذه القافية والرديف طبقا لفكرة واسلوبه وأخذ الجميع القلم والمحبره والورق وجلسوا على انفراد وبدأوا يفكرون وفى ذلك الوقت قدم صديق آخر وسأل آزرده: فيما تفكر؟ فقال مولانا

---

(١) الترجمة: ربما لم يبق فى الجنون هذه المرة، أى فرق بين الجيب المشقوق والذيل الممزق.

آزرده: أريد أن اكتب جواب «قل هو الله»[1].

أى أن إعجاز بيت مير وبلاغته وصلت إلى أعلى درجة بحيث لا يمكن لأى شاعر أن يأتى بمثله مثلما لا يستطيع أن يجيب أحد على كلمة «قل هو الله».

ويعلق حالى على هذه القصة بقوله: «الحقيقة أن تمزيق الذيل أو الجيب أو كليهما فى ثورة الجنون هو معنى مبتذل وموضوع ردئ للغاية وقد استعمله الناس باستمرار من قديم الزمن ولكن مير استطاع أن يؤدى هذا المعنى المبتذل فى أسلوب جذاب، بديع وطريف برغم بساطته الشديدة ولا يمكن تصوره فى أسلوب أفضل من هذا وأن أجمل ما فى هذا الأسلوب أنه فريد بالرغم من بساطته وطبيعيته»[2].

٢ - «آب حيات» لمحمد حسين آزاد (ت ١٩١٣م):

وهو كتاب فى تاريخ الأدب الأردى وطبقات شعراء الأردية وألفه محمد حسين آزاد عام ١٨٨٠م وهو مرحلة متقدمة عن كتب التذاكر وقد نال «آب حيات» شهرة عريضة فى الأدب الأردى لجمال أسلوبه وسحر ألفاظه التى سحرت الناس بأسلوبه القصى الممتع على غرار كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

وقد رجع إليه حالى ونقل عنه هذه الحكاية[3] التى دلل بها على وقوع الشاعر فريسة لعاداته التى تجبره على نظم قصائد التهنئة فى الأعياد والمناسبات أو نظم الغزليات فى المجالس الشعرية وتكون له بمثابة عرقلة لسير حريته، وهذا ما حدث بالفعل للشاعر إن شاء الله خان «فعندما كان إنشاء الله خان يشعر بالحرية الكاملة فى بلاط سعادت على خان فكان يأتى بالطرائف والفكاهات والنوادر والنكات الغريبة ولكن عندما ألزمه سعادت على خان بأن يروى له كل يوم حديثين لم يروهما أحد فكان إنشاء الله خان يدور حول الأطفال كالمجانين ويسألهم أن أخبرونى بشىء جديد؟ حتى أصبح فى نهاية الأمر مجنونا»[4].

٣ - كتاب حالى «حيات سعدى»:

وهذا الكتاب الفه حالى عن حياة الشيخ سعدى الشيرازى وتناول فيه حياته وشعره

---

(١) انظر: تذكرة آزرده: نصر الدين آزرده ص: ٤٣.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧١.

(٣) محمد حسين آزاد: آب حيات: ص ٢٤٠ - ٢٤١ وما بعدها.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٩٩.

بالتفصيل ونشره عام ١٨٨٦م وقام ببحث مفصل عن الشعر والغزل بصفة عامة وشعر سعدى وغزلياته بصفة خاصة فقد كان حالى أشد المعجبين بسعدى شاعر الفضيلة والأخلاق وينعكس هذا الإعجاب فى مواضع كثيرة من «المقدمة» حيث تأثر بالجانب الأخلاقى عنده وحاول أن يؤصل النقد الأردى على أساس أخلاقى ولذا نراه يستشهد بأشعاره العديدة فى مقدمة شعر وشاعرى».

وقد أشار حالى إلى كتابه هذا فى موضعين من المقدمة: الموضع الأول عندما تحدث حالى عن إصلاح الغزل الأردى وذكر بداية نشأة الغزل فقال: «إن الذين قاموا بصقل الغزل وجعله مقبولاً بين الناس عامتهم وخاصتهم هم أهل الله والصوفية أو الذين يعدون من العارفين بغناء ألحان العشق الإلهى مثل: سعدى والرومى وخسرو وحافظ..... وغيرهم فلم نجد اهتمام الناس بالغزل كثيراً قبل هؤلاء العظماء، وقد وضحت ذلك فى مكان ما[١] فى كتاب «حيات سعدى» وهو أنه - أى سعدى - لم يكن موضوع غزله هو العشق المجازى كما يفهم من ظاهر الألفاظ بل كان يوضح الحقيقة فى حجاب المجاز»[٢].

والموضوع الثانى الذى أشاد فيه حالى إلى كتابه «حيات سعدى» كان فى معرض حديثه عن إصلاح الغزل أيضا فذكر أن «موضوعات الحب التى تستعمل فى الغزل يجب أن تكون فى صورة الكلمات الجامعة التى تحتوى على جميع أنواع المحبة والصداقة وجميع الروابط الروحية والجسدية وألا يتخللها بقدر الإمكان أى كلمة يقصد بها المرأة أو الرجل صراحة وقد ذكرنا هذا بالتفصيل فى خاتمة كتاب «حيات سعدى»[٣].

وإلى جانب هذا فقد غب حالى من فيض التراث النقدى العربى والفارسى وكانا يعتبران فى ذلك الوقت جزءا لا يتجزأ من التراث النقدى الأردى.

---

(١) انظر: خاتمة كتاب «حيات سعدى».

(٢) حالى: مقدمه شعر وشاعرى: ص ١٠٢.

(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ١٠٥.

٢ - أصول من التراث النقدي الفارسي

كانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للامبراطورية المغولية في شبه القارة الهندية ولغة البلاط التي يكتب بها الرسائل والدواوين وينظم الشعراء بها شعر المدح للأمراء المغول وقد اشتهرت اللغة الفارسية كلغة ثقافية بين طبقات المثقفين وكان لا غني للفرد عن تعلمها إذا أراد الالتحاق بوظائف الدولة، وكان حالي كغالب أهل عصره يتقن اللغة الفارسية ويجيد النظم بها وقد كانت هذه اللغة مسيطرة في ذلك الوقت علي المحافل الثقافية كلغة أدب ولذلك كان من الضروري أن يرجع إلي كتب النقد واللغة والأدب الفارسي ويستشهد بفحول شعرائها في القضايا المختلفة التي طرحها في كتابه «مقدمة شعر وشاعري» لذلك نراه يقتبس الكثير من فيض هذه اللغة التي يتردد أشعارها علي كل لسان وخاصة المثقفين، وقد ازدهرت الفارسية في الهند حتي أصبح لها أسلوب خاص يسمي بـ«سبك هندي» أي الأسلوب الهندي كما لجأ إليها كثير من شعراء إيران مثل عرفي ونظيري وغيرهم.

ولذلك كان من الطبيعي أن يرجع حالي إلي التراث النقدي الفارسي الضخم ويستفيد منه كثيرا وخاصة أن التراث النقدي الأردي كان قليلا ولا يقارن بالتراث الفارسي فضلا عن أنه لم يكتب فيه أي كتاب منهجي في النقد فرجع حالي - علي الأرجح - إلي الكتب النقدية الفارسية التي تبحث في الأصول والقواعد المختصرة لفن الشعر مثل:

چهار مقاله ومعيار الأشعار وحدايق البلاغة وعروض سيفي ورسالة جامي وغيرها إلا أنه لم يصرح في المقدمة إلا باسم كتابين فارسيين فقط وهما:

١ - «تذكرة» ميرزا محمد طاهر نصر آبادي (ت: ١١٨٥هـ):

وهو كتاب في تراجم شعراء العصر الصفوي وقد أشار حالي إليه إشارة واحدة عندما استشهد به علي أحوال الشعر في القرن الرابع الهجري ونظرة الناس المختلفة له من ذام ومادح من خلال ندوة شعرية تجمع الصاحب بن عباد والطالقاني، وقد نقل حالي عنه هذه الحكاية: «في مساء ذات يوم كان الصاحب بن عباد والشعراء والعلماء قد اجتمعوا

كالعادة في مجلس الطالقاني ودار الحديث بينهم عن الشعر كثيرا ما يشتمل علي المدح أو الذم وكلاهما قائم علي الكذب فقال لهم أبو محمد الخازن – الذي كان عالما عظيما – في تأييد الشعر: إن من أهم مميزات الشعر هو أنه مع أننا نستفيد من كل علم وفن وليس نجاحنا بسبب أي منها، فالشعر هو ذلك الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نتقرب به إلي السلطان والوزراء، أما كثرة الكذب والمبالغة في الشعر فلا شك فيها، لكن عندما يطلي النحاس (الكذب) بطلاء الشعر فيصير لونه مثل الذهب الخالص فيتغلب جمال الشعر علي قبحه، فاستحسن الجميع هذا الرأي وهكذا انتهي النقاش بعد أن استقروا علي أن الشعر هو الوسيلة الوحيدة للتقرب من الأمراء والسلاطين ولا يغني العلم والفن عن الشعر شيئا كما أن الكذب والمبالغة فيه مقبولة.

ويخلص حالي من هذه القصة برأيه عن الشعر في القرن الرابع الهجري فيري أنه كان يعتبر أحد الأسباب القوية في التقرب من الملوك والأمراء ولذلك كان الكذب والمبالغة يدخلان في خصائصه.[١]

٢ – أساس الاقتباس: نصير الدين الطوسي (ت:٦٧٢هـ):

وهو كتاب في المنطق يضم تسعة أبواب آخرها في الشعر وقد رجع حالي إليه في موضعين هما:

١ – عندما تحدث حالي عن أهمية الوزن للشعر وذكر أن العرب كانوا يمتازون ويتفوقون في لغة الحديث بشكل عام والفصاحة والبلاغة بوجه خاص، ولذلك عندما سمعت قريش عبارات القرآن الكريم المعجزة لم تصدق أن القرآن لم يلتزم بالوزن والقافية.[٢] ويعقب حالي علي هذه القضية برأي لنصير الدين الطوسي في الوزن حيث يقول إن «الوزن لم يكن شرطا أساسيا للشعر العبري والسرياني والفارسي القديم وكان العرب أول من التزموا به في شعرهم»[٣] ثم يقول حالي إن الشعر يصير أكثر حدة وسحرا وأعظم تأثيرا ونفعا باستخدام الوزن.

٢ – ويستشهد حالي برأي نصير الدين الطوسي أيضا عندما يتكلم عن أهمية القافية للشعر كأهمية الوزن فيقول أن القافية ضرورية للنظم وليس للشعر وقد جاء في

---

(١) حالي: مقدمة شعر وشاعري، ص ١٦,١٧ .

(٢) حالي: المرجع السابق: ص ٢٧–٢٨

(٣) نصير الدين الطوسي أساس الاقتباس دانشگاه تهران .چاب دوم،ص٥٨٧

«أساس الاقتباس» أن «القافية» عند اليونانين مثل – الوزن أيضا غير ضرورية، وقد كتب «جشوني» أحد شعراء المجوس كتابا جمع فيه أشعارا غيرمقفاه[١] ويري حالي أن القافية تزيد من حسن الشعر ما لم تثن الشعراء عن أداء المعني.

وقد رجع حالي إلي كتب فارسية أخري في اللغة والنقد والأدب واستعان بها في مواضع كثيرة في المقدمة دون الإشارة إلي هذه المراجع والمصادر أو ذكر أسماء مؤلفيها ومن هذه المصادر «چهار مقاله» الذي من المرجح أن حالي قد رجع إليه ونقل عنه روايتين أحداهما للرودكي والأخري للفردوسي وكان مؤلف «چهار مقاله» نظامي عروضي السمرقندي أول من ذكرهاتين الروايتين في كتابه هذا الذي ألفه عام ٥٥٠هـ/١٥٥-١١٥٦م ويحتوي علي أربع مقالات في علم الفلك والطب والنشر والشعر، وقد نقل هاتين الروايتين كل من جاء بعده ومنهم دولتشاه السمرقندي في كتابه «تذكرة الشعراء»، والروايتان هما:-

١ – الرواية الأولي التي نقلها حالي عن «چهار مقاله» ودلل بها علي تأثير الشعر هي قصة القصيدة المشهورة التي نظمها الرودكي بناء علي رغبة القادة والوزراء ليحث بها الأمير الساماني نصر بن أحمد إلي العودة إلي موطنهم بخاري بعد أن ظلوا مقيمين في هراه قرابة أربع سنوات[٢]. وقد نقل حالي القصة كما هي دون تحريف أو تعليق إلا أن هناك بعض الاختلافات في رواية الأبيات التي ذكرها حالي في المقدمة عن الأبيات التي ذكرها العروض السمرقندي وربما يرجع هذا إلي أن حالي قد نقل هذه الأبيات من «چهار مقاله» المطبوع في الهند لذا ظهرت بعض الأبيات التي ذكرهاحالي برواية مختلفة ومطلع هذه الأبيات هو:

بوي جوي موليان آيدهمي ياد يار مهر بان آيدهمي[٣]

ولما بلغ الرودكي البيت الأخير بلغ تأثير الأمير مداه فنزل عن التخت وأسرع غير منتعل فركب فرسه وتوجه شطر بخاري حتي حمل وراءه حذاءه فرسخين إلي بروته وهناك لبسهما ولم يعرج علي مكان حتي بخاري.

٢ – والرواية الثانية التي نقلها حالي في مقدمته عن «چهار مقاله»[٤] هي قصة

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

(٢) حالي: مقدمه شعر وشاعري ص، ٩،١٠

(٣) نظامي عروض السمرقندي، چهار مقاله: ص ٢٤-٢٨ ويحي الخشاب وعبد الوهاب عزام: الترجمة العربية لچهاز مقاله ص ٣٨-٤١

(٤) نظامي عروضي السمرقندي: چهار مقاله: ص ٣٥-٣٩ والترجمة العربية ص ٥٥-٥٩.

الفردوسى ونظمه للشاهنامة وحملها إلي وزير السلطان محمود الغزنوي الحسن الميمندي وتوسله إليه حتي قبلها ولكنه لم يحصل علي الجائزة التي ينتظرها وذلك بفعل الوشاة الذين كانوا يترصدون الزلل للوزير الميمندي فلم يكترث بها السلطان محمود، وعندما علم الفردوسي بمعارضة حسن الميمندي قال هذين البيتين:

انني امرؤ لم اكن منذ حداثتي ساعيا إلي مال أو طامعًا في جاه أبدا

فلما التجيء إلي أبواب الوزير مؤمل وأنا الذي انصرفت عن أعتاب لملك(١)

ويذكر حالي هذه القصة ليدلل بها علي أن الحكومة الفرديه المطلقة تحد من حرية الشاعر فبالإضافة إلي اتهام الوشاة للفردوسي بأنه دهري تارة وشيعي تارة أخري، فلم يجن من تعب السنين في نظم الشاهنامة سوي الحرمان والفشل وذلك بسبب عدم خضوعه لتأثير البلاط وضغط المجتمع.(٢)

وقد أشار حالي إلي شاهنامه الفردوسي في موضع آخر(٣) عندما تعرض لبراعة الفردوسي في تصوير قوة بطله رستم وشجاعته بدقة حتي أن السامعين عندما يسمعون اسمه ينشأ في قلوبهم الشعور بالزهو والخيلاء تلقائيا. كما ذكرحالي قصة «رستم وسهراب» عرضا عند الحديث عن خوارق العادات الموجودة في شعر المثنوي.(٤) وقد تحدث حالي في «مقدمة شعر وشاعري» «عن قضية الفن» للمجتمع وأن الشعر تابع للمجتمع فيتغير تبعا لتغير أفكار المجتمع وميوله وعاداته وان هذا التغير غير معروف تماما بل انه يتماشي جنبا إلي جنب مع المجتمع وضرب مثلا علي ذلك بشاعر الهزل الفارسي الشهير «عبيد زاكاني» الذي تخلي عن العلم واختيار شعر الهزل والتملق طبقا لمقتضيات العصر وبرع في هذا الاتجاه.(٥)

ورجع حالي في مقدمته إلي كثير من دواوين شعراء الفرس واستعان بها في ذكر أبيات منها كشواهد شعرية لتوضيح فكرة أو نفي أخري أو لاثبات رأي أو بمقارنتها بالشعر

---

(١) من بنده كزمبادي فطرت نبوده ام.. مائل بمال هرگز طامع به جاه نيز
سوي دروزير چرا ملتفت شوم.. چون فارغم زبارگه بادشاه نيز

(٢) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ٢٠

(٣) حالي: المرجع السابق:ص١٢

(٤) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ١٦٩-١٧٠

(٥) حالي: مقدمه شعر وشاعري: ص ١٥.

العربي أو الأردى وكان حالى يرمى من وراء ذلك إلى إثبات تفوق أستاذه غالب خاصة فى شعره الفارسى على شعراء إيران.

وكان سعدى الشيرازى من أكثر الشعراء الايرانيين الذى أعجب بهم حالى أيما اعجاب وكان يعتبره مثله الأعلى فى الشعر والأخلاق ولذلك كتب حالى عنه كتابا قيما بالأردية هو «حيات سعدى» استعرض فيه حياته بالتفصيل وبحث فى خصائص شعره وقد استشهد حالى بشعره فى مواضع كثيرة فى المقدمة ووصل عدد هذه الشواهد الشعرية إلى تسعة عشر بيتا كما عقد مقارنة بين ستة امثال عربية اقتبس سعدى منها فكرته فى ستة أبيات(١) وقد استشهد حالى بثلاثة عشر بيتا من شعر حافظ الشيرازى فى مواضع متعددة من المقدمة وعشرة أبيات لنظيرى وستة للفردوس وثلاثة لجلال الدين الرومى وأربعة لعرفى الشيرازى وثلاثة أبيات لناصر خسرو ولكل من فيض وصائب التبريزى ونظامى وشفائى بيت واحد، كما ذكر حالى عددا من الأبيات الفارسية كشواهد دون ذكر شاعرهاو عددها سبعة أبيات: وبذلك يبدو التأثير الفارسى فى أفكار حالى النقدية واضحا فى بلورة نظريته النقدية.

---

(١) حالى: المرجع السابق:ص ٢٥-١٢٦

٢ - أصول من التراث النقدى العربى

رجع حالى فى مقدمة شعر وشاعرى إلى مصادر عربية عديدة فى نقد الشعر فى الأدب واللغة والتراجم والرحلات واستعان بنصوص كثيرة منها ونقلها فى مقدمته وذلك لتكوين آداته النقدية وهو يعد لكتابة أول كتاب منهجى فى نقد الشعر الأردى وهذه الكتب هى: العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) والعمدة لابن رشيق (ت: ٤٥٨هـ) ومقدمة «ابن خلدون» (ت ٨٠٨هـ) والديوان النفيس بايوان باريس لرفاعة الطهطهاوى و«المزهر فى علوم اللغة للسيوطى» (ت: ٩١١هـ) وألف ليلة وليلة و«الفهرست» لابن النديم وديوان الحماسة لأبى تمام (ت: ٢٣١هـ) والحيوان والبيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) والشعر والشعراء لابن قتيبة والموشح للمرزبانى و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٦هـ) وسيرة ابن هشام و«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجانى. وقد تأثر حالى أيضا برأى الفلاسفة المسلمين فيما يتعلق بالخيال وقوى الادراك الإنسانى وخاصة القوة المتخيلة والقوة المميزة، كما ذكر حالى فى المقدمة آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوالاً مأثورة وأمثلة شائعة.

ومن الملاحظ أن حالى لم يذكر المراجع العربية التى أخذ منها إلا نادراً وفى مواضع قليلة ولم يصرح فى مقدمته إلا بأسماء كتب خمسة فقط وهى:

١ - الديوان النفيس بايوان باريس: لرفاعة الطهطاوى وهو المعروف أيضًا بـ«تخليص الابريز فى تلخيص باريز» وهو كتاب فى أدب الرحلة سجل فيه الطهطهاوى خواطره عن رحلته إلى فرنسا للتعليم، وقد نقل حالى عنه أبياتا من قصيدتين فرنسيتين قام رفاعة الطهطاوى بترجمتها إلى العربية أثناء بعثته فى فرنسا بين عامى (١٨٢٦ - ١٨٣١م) وقد استشهد حالى بهما على تأثير الشعر على الجمهور مما أدى إلى قيام أهل فرنسا بالثورة على ملكهم شارل العاشر عام ١٨٣٠م بسبب القانون الذى سنه ضد قانون الحريات بتأثير هاتين القصيدتين هما:

١ - القصيدة الباريسية: وقد قيلت فى ثورة الفرنسيين ضد ملكهم شارل العاشر وهذه القصيدة فى بحر المتدارك وتحتوى على ستة وأربعين بيتًا وقد ذكر

حالى[١] منها هذه الأبيات فقط:

يا أهل فـــرنســـا الغـــرا ... يا شـجـعـانا بشـهـامـتكم

عـــشـــتم في الرق وورطتـــه ... والآن خـــذوا حـــريتكم

مـــا أحـــسن يوم فـــخـــاركم ... بتـــوافـــقكم في كلمـــتكم

كـــروا كـــرا للظفـــر بهم ... النصـر حليف شـجـاعـتكم[٢]

٢ - القصيدة المرسيلية: وهى نشيد المارسليز "La Marseillaise" الذى ألفه الشاعر «روجيه دى لوزال» "Rougetdeloisile" وهونشيد ثورى يدعو إل بالحرية والعدالة بالإضافة إلى كونه نشيد الثورة الفرنسية وهو فى خمسين بيتًا وقد ذكر حالى[٣] هذه الأبيات منه:

هيـــا بنى الأوطان هيـــا ... فـوقت فـخـاركم لكم تهـيـا

أقـيـمـوا الراية العظمى سـويا ... وشنوا غـارة الهـيـجـا مليـا

عـليـكـم بـالـســـلاح أيا أهـالى ... ونظم صـفـوفكم مـثل اللآلى

وخـوضـوا في دمـاءأولى الوبال ... فـهـم أعـداؤكم في كل حـال

وجـودهـم غـدًا فـيـكـم جليـا ... بنا خـوضـوا أدمـاء أولي الوبال[٤]

وقد نقل حالى هذا المثال كما يذكر فى حاشية كتابه من «الديوان النفيس بايوان باريس» والمعروف أيضًا «بتخليص الابريز فى تلخيص باريز» غير أننى قد بحثت فى هذا الكتاب فلم أجد هاتين القصيدتين وان كنت قد عثرت على قصة هذا المثال»[٥].

٢ - العمدة لابن رشيق القيروانى:

أشار حالى إلى كتاب «العمدة» فى مقدمته أكثر من مرة، سواء كان يذكر له رأيا منفردًا أو فى مقارنة الآراء النقدية فى الشعر بينه وبين ميلتون، ولكن حالى - كما سنرى

---

(١) حالى: مقدمه شعر وشاعرى: ص٧

(٢) طه وادى: ديوان رفاعه الطهطاوى، ص ٢٠٦ - ٢٠٨.

(٣) حالى: مقدمه شعروشاعرى: ص ٧.

(٤) طه وادى: ديوان رفاعه الطهطاوى ص ١٩٩ - ٢٠٢.

(٥) رفاعه الطهطاوى: تخليص الابريز فى تلخيص باريز ص ١٩٨ - ٢٠٠.

– لم يطلع على كتاب «العمدة» مباشرة بل قرأ عنه فى كتب أخرى وتأثر برأى ابن رشيق عن طريق غيرمباشر، فقد قمت بقراءة كتاب العمدة كاملا فلم أجد فيه أيًا من الأصول التى نسبها حالى إليه فى مقدمته، ولكننى عثرت على هذه الآراء فى «مقدمة ابن خلدون» التى افتتن بها حالى ونقلها على أنها آراء ابن رشيق، فيقول ابن خلدون التى افتتن بها حالى ونقلها على أنها آراء ابن رشيق، فيقول ابن خلدون فى مقدمته عن ابن رشيق وكتابه العمدة فى فصل عقده فى صناعة الشعر ووجه تعلمه وذلك فى معرض حديثه عن صناعة الشعر وأوقات القريض: « . . . وذكر ذلك ابن رشيق فى كتابه العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله»(١) وعلى الرغم من أن ابن خلدون قد صدر فى رأيه فى صناعة الشعر عن آراء ابن رشيق فى عمل الشعر وشحذ القريحة(٢) له من حفظ أشعار كبار الشعراء حتى تتكون ملكته وتخير الأماكن التى بها ماء وأزهار واختيار الخلوة والأوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة من الطعام والشراب ونشاط الفكر، إلا أننا مع ذلك لا نستطيع نسب هذه الآراء إلى ابن رشيق لمجرد أنها جاءت بنفس المعانى عن ابن خلدون ولكن بالفاظ مختلفة ولم يذكرها ابن خلدون بالنص ولكنه قال ذكر «ذلك» ابن رشيق أى أنه ذكر هذا الموضوع أيضا، ولكن حالى فهم أن اسم الإشارة «ذلك» يعود على نسب الفقرة السابقة لابن رشيق ولذا وقع حالى فى هذا الخطأ عندمانسب هذه النصوص الثلاثة لابن رشيق وفيما يلى مقارنة بين هذه النصوص الثلاثة التى ذكرها حالى فى مقدمته وما ذكره ابن خلدون.

١ – **النص الأول**: يقول ابن خلدون فى مقدمته فيما يتعلق بهذا الباب:

«وليراجع الشاعرشعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضن به على الترك إذا لم يبلغ الإجاده، فإن الإنسان مفتون بشعره إذ هو بنات فكره واختراع قريحته.. فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة»(٣).

وقد ترجم حالى هذا النص فى مقدمة شعر وشاعرى وهو رأى ابن خلدون ولكن حالى نسبه خطأ لابن رشيق فيقول:

---

(١) مقدمة ابن خلدون: جـ٣ ، ص ١٣٠٧ . طبعة دار نهضة مصر.

(٢) ابن رشيق: العمدة: ١/ ٢٠٤ – ٢١٥ .

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٣ ، ص ١٣٠٧ .

«جب شعر سرانجام ہو جاے تواسپر باربار نظرط التی جاے اورجہاں تک ہو سکے اسمیں خوب تنقیح وتہذیب کرنی چاے پھربھی اگر شعر میں جودت اور خوبی پیدانہ ہوتواسکود ور کرنے میں پس وپیش نہ کرنا چاے جیساکہ اکثر شعراکیا کرتے انسان اپنے کلام پراسلے کہ وہ اسکی مجازی اولاد ہوتی ہے مفتون اورفر یفتہ ہوتا ہے پس اگرا سکے دور کرنے میں مضائقہ کیا جائیگا توایک بُرے شعر کے سبب سارا کلام درجۃ بلاغت سے گرجائے گا»(۱).

۲ – **النص الثانی**: یقول ابن خلدون فی مقدمته:

اعلم أن لعمل الشعر واحکام صناعته شروطًا أولا: «الحفظ من جنسه حتی تنشأ فی النفس ملکة ینسج علی منوالها... ومن کان خالیا من المحفوظ فنظمه قاصر ردئ... فمن قل حفظه أو عدم لم یکن له شعرا وإنما هو نظم ساقط. ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القریحة للنسج علی المنوال یقبل النظم بالإکثار منه تستحکم ملکته وترسخ»(۲).

وترجم حالی هذا النص فی مقدمته تحت عنوان «یجب حفظ أشعار فحول الشعراء» فیقول:

«شاعر کوا علے ۱ طبقه کے شعرا کا کلام یا دھونا چا ہے تاکه وہ اپنی شعر کی بنیاد اسی منوال بر رکھے . جو شخص اساتذہ کے کلام سے خالی الذ ہن ہوگا اگروہ محض طبیعت کی اپج سے کچھ لکھ بھی لے گاتوا سکو شعر نہین بلکه نظم ساقط ازاعتبار یا ئطکسال سے باہر کہین کے پس جب اسکا حافظه بلغا کے کلام سے بُر ہو جائے اورانکی روش ذہن کی لوح برنقش ہوجائے تب فکر شعر کیطرف متوجه ہوناچا ہے اب جسقدر مشق زیادہ ہوکی اسیقدر ملکه شاعری مستحکم ہوگا»(۳).

ویعقب حالی علی هذا الرأی بقوله أن «هذه النصیحة التی یقدمها ابن رشیق ربما تکون مناسبة للشعر العربی، لأنه دار علیه زمن طویل ومر علیه أکثر من ألف عام وقد بزغ فی کل طبقة وکل عهد شاعر اسمی وأفضل من الآخر واتسعت دائرة اللغة اتساعا

---

(۱) حالی: مقدمة شعر وشاعری، ص۴۳.

(۲) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: جـ۳، ص۱۳۰۶.

(۳) حالی: مقدمه شعر وشاعری ص ۴۵ – ۴۶.

كبيراً.. على عكس اللغة الأردية الوليدة»[١].

ولعل ارتباط المهارة بإعادة سبك العناصر القديمة تفرض أول قاعدة من قواعد الصنعة وهى «الحفظ» وذلك أمر طبيعى فكلما كثر المحفوظ كثرت المواد بين الشاعر ورحب المجال أمامه فى إعادة السبك وساعده كمال عقله إلى البدائع[٢].

فعلى الشاعر المحدث أن يتأمل الشعر الجيد بل ويديم النظر فى الأشعار لتلصق معانيها فى فهمه وترسخ أصولها فى قلبه وتصير مواد الطبعة ويذوب لسانه بألفاظها فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار فكانت تلك النتيجة كسبيكه مفرغة من جميع الأصناف التى تخرجها المعادن»[٣].

٣ – **النص الثالث**: ويقول ابن خلدون :

«ربما يقال أن من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة إذ هى صادرة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتعش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليها بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة»[٤].

وهذا النص لابن خلدون أيضا ولكن حالى نسبه إلى ابن رشيق فيقول:

يقول ابن رشيق بعد ذلك أن: «بعضون كى رائے يه هے كه ايک بار اساتذه كے كلام پرتفصيلى نظر طدال كراسكو صفحهء خاطر سے محو كردينا چا هے كيونكه اسكا بعينه ذهن ميں محفوظ رهنا ويسهى تركيبون اوراسلوبون استعمال كرنے سے هميشه مانع هوگا ليكن جب وه كلام صفحهء خاطر سے محو هوجائيگا توبسبب اس رنگ كے جو كلام بلغاكى سيركر نے سے طبيعت برخود بخود چرطھ گيا هے اسميں ايک ايساملكه پيدا هوجائيگا كه ويسى هى تركيبين اور اسلوب جيسے كه اساتذه كے كلام ميں واقع هوئے هيں دوسرے لفظون مين خود بخود بغير اس تصود كے كه يه تركيب فلان تركيب برمبنى هے اوريه اسلوب فلان اسلوب كاچربا هے جيسے ضرورت برطے گى بناتا چلاجائيگا»[٥].

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ٤٣.

(٢) ابن طباطبا: عيار الشعر: ص ١٠.

(٣) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ص ٣٤.

(٤) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون. جـ٣ ص ١٣٠٦ – ١٣٠٧.

(٥) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٦ – ٤٧.

ويعقب حالى على رأى ابن خلدون قائلا: «هذا الرأى عندنا أكثر قبولا وجديراً بالاحترام عن الرأى الأول، فما دام الشاعر لا يمحو من ذهنه شعر الفحول فسيبقى طبعه محصوراً ومقيداً بطرقهم وأساليبهم والتى تصبح بمثابة الطبيعة الثانية بسبب كثرة قراءتها وحفظها والتى بسببها لا تظهر ملكة إبداع الأساليب والطرق الجديدة فى البيان عند الشعراء ونتيجه لهذا لا يتقدم فن الشعر قيد أنملة»(١).

ويستعرض حالى آراء النقاد فى الشعر الجيد حتى يصل إلى الرأى الأخير فى تعريف الشعر الجيد الذى يميل إليه ويسلم به فيقول: «وفى رأى أن قول ابن رشيق فى هذا الصدد هو أفضل قول، فيقول:

فإذا قيل أطمع الناس طرآ وإذا ريم أعجز المعجزينا

ويقول حالى: «الحق أن ابن رشيق قد عرف الشعر الجيد بلطافه وجمال لا يمكن تصوره فى حد الشعر أفضل من هذا وكأنه قد عرف الشعر الجيد بشعر بنفس الجودة والسمو التى يحتاج إليها الشعر»(٢).

فهذا التعريف للشعر الجيد الذى سلم به حالى ورأى أنه أفضل تعريف للشعر الجيد ونسبه لابن رشيق خطأ يؤكد صدق رأينا السابق من أن حالى لم يطلع على كتاب «العمدة» وأنه اعتم دفى ذلك على ما ذكره ابن خلدون فى المقدمة عن ابن رشيق، وقد ذكر ابن خلدون هذا البيت فى مقدمته ضمن قصيدة طويلة فى صناعة الشعر فقال: «وقد نظم الناس فى أمر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن أحسن ما قيل فى ذلك وأظنه لابن رشيق(٣)» ثم ذكر أبياتا طويلة حتى وصل إلى هذا البيت.

بيد أننا إذا رجعنا إلى كتاب العمدة الذى أخذ عنه كل من ابن خلدون وحالى نرى أن ابن رشيق قد كتب فى باب (فى أغراض الشعر وصنوفه) أن هذا البيت لأبى العباسى الناشئ من قصيدة مطلعها:

لعن الله صنعة الشعر، ماذا من صنوف الجهال فيها لقينا؟

إلى أن يصل إلى قوله:

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٧.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٢.

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص ١٣٠٨.

وأصح القريض ما فات في النظم وإن كان واضحا مستبينا

وإذا قيل أطمع الناس طرا وإذا ريم أعجز المعجزينا[1]

إذا فهذا البيت الأخير الذى نسبه ابن خلدون على سبيل الظن لابن رشيق قد نسبه حالى خطأ لابن رشيق وهو للعباس الناشئ وهو من شعراء بنى بويه واسمه على عبد الله ابن وصيف.

وبعد ذلك عقد حالى فى مقدمة شعر وشاعرى باباً للمقارنة بين تعريف «العباسى الناشئ» الذى نسبه خطأ لابن رشيق وبين تعريف ميلتون للشعر الجيد وهو أن يكون الشعر «بسيطًا ومفعمًا بالاحساس والانفعال»[2] أو بعبارة أخرى «بسيطا شعوريا مؤثرًا»[3] على الرغم من أن هذا سرد لبعض صفات الشعر لا حد له.

فيرى حالى أن «هناك فرقًا دقيقًا فى تعريف كل من ابن رشيق وميلتون للشعر فيفهم من تعريف ابن رشيق ان الشعر الجيد مرهون على كثرة محاسن الصدف فى نهاياته أى قوافيه والتى لا دخل لإرادة الشاعر فيها وأن الشاعر لا يخبرنا بطريقة نظمة للشعر الجيد بل يعرفنا بأن أى شعر من أشعار الشاعر يمكن أن يعتبر جيداً، أما ميلتون فيتوفر فى تعريفه كلا الجانبين فمن تعريفه للشعر يعرف كلا الشرطين وهما أركان نظم الشعر الجيد ومعرفة الشعر الجيد كذلك»[4].

ومما سبق يتضح جليًا عدم اهتمام حالى بتحرى الدقة فى نقل النصوص وكذلك عدم ذكر المصادر التى أخذ منها إلا نادرًا وينسب أقوالا لغير قائليها وافتقد إلى التدقيق والتمحيص وكما مر بنا فقد ذكر ثلاثة نصوص لابن خلدون ونسبها خطأ لابن رشيق كما انطق ابن رشيق البيت الذى استحسنه فى تعريف الشعر الجيد ويبدو من هذا أن حالى كان من أشد المعجبين بابن خلدون وأرائه فى صناعة الشعر ونقده وقد نقل من مقدمته كل النصوص والآراء التى ذكرها لابن رشيق.

---

(١) ابن رشيق: العمدة: ٢/١١٣ - ١١٤.

(٢) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبى ص ٢٩٧.

(٣) ماثيوارنولد: مقالات في النقد، ترجمة على جمال الدين عزت جـ١، ص٨١.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٣.

٣ - مقدمة ابن خلدون :

ذكر حالى فى مقدمة شعر وشاعرى « نصين لابن خلدون نقلهما من مقدمته، والنص الأول الذى أشار إليه حالى يتعلق بقضية اللفظ والمعنى وهو « انشا پردازى كاهنر

نظم مين هو يا نثرمين محض الفاظ مين هے، معانى مين هرگز نهيں معانى صرف الفاظ كے تابع هيں اوراصل الفاظ هے، معانى، هرشخص كے ذهن مين موجود ميں پس انكے لے كسى هنر كے اكتساب كرنے كى ضرورت نهيں هے اگرضرورت هے توصرف اسے بات كى هے كه ان معانى كوكس طرح الفاظ ميں اداكيا جاے وه كهتے پس كه الفاظ كوايسا سمجهه جيسے پياله اور معانى كوايسا سمجهه جيسے پانى - پانى كوچاهو سونے كے پياله ميں بهرلو اور چاهو چاند كے پياله ميں اور چاهو كانچ يا بلور يا سيب كے پياله ميں - اور چاهو مٹى كے پياله ميں پانے كى ذات ميں كچهه فرق نهين آتامگر سونے يا چاندى وغيره كے پياله مين اسكى قدر برطهه جاتى هےا ور متى كے پياله كم هوجاتى هے اسى طرح معانى كى قدر ايكه فصيح اور ماهر كے بيان مين زياده هوجا تى هے اور غير فصيح كے بيان مين گهب جاتى بے »(١).

ويقول ابن خلدون فى مقدمته: « اعلم أن صناعة الكلام نظمًا أو نثرًا انما هى فى الألفاظ لا فى المعانى..... والمعانى موجودة عند كل واحد..... فلا تحتاج إلى صناعة وهى بمثابة القوالب للمعانى فكما أن الأوانى التى يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد فى نفسه، وتختلف الجودة فى الأوانى المملؤة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء، كذلك جودة اللغة وبلاغتها فى الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام فى تأليفه »(٢).

وعلى الرغم من أن حالى رجح اللفظ على المعنى إلا أنه لا يسلم برأى ابن خلدون ويؤكد على ضرورة الاهتمام بالمعانى كذلك، فيقول: « نحن نعترف بأن الألفاظ محور الشعر أكثر من المعانى، لأن المعانى مهماكانت لطيفة وجيدة وسامية لا يمكن أن تجد لنفسها مكانا فى قلوب الناس ما دامت لم تؤدى فى الفاظ جيدة قوية، وأن الموضوع

---

(١) حالى: مقدمة: شعر وشاعرى ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ ٣ ص١٣١٢ ، ١٣١٣.

المبتذل فى ثوب الفاظ جميلة يمكن أن يكون جديراً بالثناء»[1].

والنص الثانى الذى ذكره حالى فى مقدمة شعر وشاعرى نقلاً عن مقدمة ابن خلدون هو رأى ابن خلدون فى تعلم لغة قوم ما، فيقول حالى: يرى ابن خلدون أن «ايک أعجمى فصحاے عرب کے کلام کى ممارست ے اہل زبان میں شمار کرنے کے لائق ہوسکتاہے»[2].

أى أن «الأعجمى بممارسة كلام العرب يصير كواحد منهم[3]» «وهذا الرأى الذى نقله حالى من مقدمة ابن خلدون إلى مقدمته بعد أن ترجمة للأردية هو خلاصة لباب عقده ابن خلدون فى إمكان تعلم العجم لغة العرب والنبوغ فيها بعد التمرس والاعتياد وضرب مثلا على ذلك بالأعاجم الداخلين فى اللسان العربى المضطرين إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق والبربر بالمغرب ويذكر أن سيبويه الفارسى والزمخشرى وغيرهم من فرسان الكلام كانوا أعجامًا مع حصول هذه الملكة لهم».

ويرى حالى أن هذا الأمر يستحق أكثر من ذلك بالنسبة لسكان الهند، فإنهم بمزاولة كلام أهل اللغة أولى وأحق أن يصبحوا من أهل اللغة.

٤ - العقد الفريد لابن عبد ربه :

وهذا الكتاب من أكثر الكتب التى تأثر بها حالى ونقل عنه العديد من الأصول والآراء النقدية ومعظم الأخبار والشواهد فى قضية الكذب والمبالغة فى الشعر ولكنه لم يصرح بذلك إلا فى موضعين من «مقدمة شعر وشاعرى».

والموضوع الأول الذى صرح حالى قيه بكتاب العقد الفريد هو استشهاده برأى ابن عبد ربه فى الشعر الجيد بعد أن استعرض آراء ميلتون والأصمعى والخليل بن أحمد فى الشعر الجيد، ويذكر ما قاله ابن عبد ربه فى باب «أى بيت تقوله العرب أشعر» فيقول: «وكتب صاحب العقد الفريد أن أفضل قول فى هذا الباب هو قول زهير بن أبى سلمى:

---

(١) حالى: المرجع السابق ص٤٤.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ٩٠.

(٣) ابن خلدون: مقدمه ابن خلدون: جـ ص١٢٩٠ - ١٢٩١.

وأن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته: صدقا(١)

والموضع الثانى الذى صرح حالى فيه بكتاب العقد الفريد هو ما نقله حالى عن ابن عبد ربه فى شأن المدح فيقول: «قال صاحب العقد الفريد» ان شعرا العرب كانوا يرفعون شأن الممدوحين وكرامتهم بمدحهم ويحقرون الناس بهجائهم»(٢) وفيما عدا هذين الموصفين فقد نقل حالى عن ابن عبد ربه كثيرا من الآراء ولم يصرح بها وسوف أستعرض هذه الآراء فى الصفحات القادمة.

٥ - ألف ليلة وليلة :

صرح حالى بكتاب ألف ليلة وليلة مرة واحدة عندما نقل عنه قصة «قاسم وعلى بابا» الشهيرة وذلك عندما تناول حالى أهمية تسخير الألفاظ وأن الكلمة لا تستطيع أن تحل محل أى كلمة أخرى وذلك لاختلاف معنى كل منهما عن الآخر «فإذا وضع مكان أى لفظ مرادفه أو غيّر من تركيب الجملة فيبدو التأثير كله سريعًا، فلو أراد أن يقيم شخص نفس التأثير السحرى بعد أن يغير فى كلامه فإنه سوف يجد نفسه فى ورطة مثلما وجد قاسم نفسه فى قصة ألف ليلة وليلة حينما كان يصرخ أمام الباب قائلا: «افتح يا قمح» «افتح يا شعير» لكن الباب لم يفتح أبدًا إلا أن يقول: «افتح يا سمسم»(٣).

وفيما عدا هذه المصادر الخمسة الذى صرح حالى بها فى «مقدمة شعروشاعرى» فإنه لم يصرح بأى مصدر آخر نقل عنه فى المقدمة وخاصة العقد الفريد الذى نقل حالى كثيرا من آرائه النقدية ولكنه لم يصرح بها، وفيما يلى سأستعرض الأصول والأفكار والآراء التى تأثر حالى بها وأخذها من الكتب والمصادر العربية دون أن يشير إليها.

---

(١) هذا البيت منسوب خطأ لزهير وهو لحسان بن ثابت انظر: ديوانه طبعة القاهرة ١٩٧٤م ص ٢٧٧، وقد نسبه ابن عبد ربه فى العقد الفريد لزهير خطأ وتبعه حالى فى ذلك، انظر: العقد الفريد: ٦/ ١٥١، ابن رشيق العمدة: ١/ ١١٤، عبد القاهر الجرجانى: أسرار البلاغة: ص ٢٤٩، حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٢.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٨، ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٦/ ١٥٢.

(٣) حالى: مقدمه شعر وشاعرى: ص ٥٠ - ٥١.

١ – أشار حالى[١] إلى قصة الأعشى والمحلق للدلالة على تأثير الشعر الجاهلى وهى قصة مشهورة ذكرتها كثير من كتب الأدب وتحكى أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكان للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم، فقالت للمحلق أن الأعشى قدم وهو رجل مفوه، مجدود فى الشعر، ما مدح أحداً إلارفعه ولا هجا أحداً إلا وضعه وأنت رجل فقير خامل الذكر وذو بنات وعندنا لقحه نعيش بها فلو سبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة، ونحرت له واحتلت لك فيماتشترى به شرابا يتعاطاه، لرجوت لك حسن العاقبة، فسبق إليه المحلق ونحر له فلما أكل الأعشى وأصحابه قدم إليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها، فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس فى كلامه وذكر البنات فقال الأعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته:

أرقت ومـا هذا السـهـاد المؤرق ومابى من سقم وما بى معشق[٢]

إلى قوله:

نفى الذم عن آل المحلق جـفـنه كجابيه الشيخ العراقى تفهق

ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل دردق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق ويهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريًا يخطبون بناته لمكان شعر الأعشى فلم تمس منهن واحدة إلا فى عصمة رجل أفضل من أبيها الف ضعف، وهذه القصيدة طويلة تحتوى على ٦٢ بيت[٣].

٢ – وفى موضع آخر أشار حالى[٤] إلى قصيدة للأعشى كذلك فى مدح الرسول على الصلاة والسلام ولكنه لم يذكر أبيات منها، وهذه القصيدة مطلعها:

الم تغمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا[٥]

---

(١) حالى: مقدمه شعر وشاعرى، ص ٨.

(٢) الأعشى: ديوان الأعشى ص ٢١٧ – ٢٢٣.

(٣) ابن رشيق: العمدة: ١/٤٨-٤٩، الأغانى: ٩/١١٣ – ١١٧، العقد الفريد: ٦/١٥٤ – ١٥٥، ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١/٢٥٨.

(٤) حالى: مقدمه شعر وشاعر ص٨.

(٥) الأعشى: ديوان الأعشى ص ١٣٠ – ١٣٧.

وهى قصيدة طويلة فى أربعة عشرين بيتًا وينتهى بقوله:

ولا تقـــربن جـــادة إن ســـرها عليك حـــرام فـــانكحن أو تأبدًا

ولهذه القصيدة قصة مشهورة تتلخص فى أن الأعشى خرج إلى النبى يريد الإسلام وقد أعد هذه القصيدة ليمدحه بها وكان ذلك فى المدة بين صلح الحديبية سنة ٦هـ وفتح مكة سنة ٨هـ، فلما بلغ مكة وعلمت قريش ما قصد له فمازالوا يبغضون إليه الإسلام ويغرونه بالمال حتى صدوه عن وجهته بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء، فقفل الأعشى راجعًا إلى اليمامة. ثم ما لبث أن مات من عامه(١).

٣ - ويشير حالى إلى(٢) مثال آخر يدلل به على تأثير الشعر فى العصر الجاهلى وهى قصة عمرو بن معدى كرب وتعيير أخته كبشه له لقبول دية أخيه عبد الله وكان سيد قبيلته وذات يوم جلس مع بنى مازن يشرب الخمر وكان هناك عبد يسقى القوم فبدأ يتغنى بامرأة من بنى زبيد فلطمه عبد الله فقام رجل سكران من بنى مازن وقتل عبد الله، فسارع بنو مازن إلى أخيه عمرو بن معدى كرب وقالوا له: أن أخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران ونحن يدك وعضدك، فنسألك الرحم وإلا أخذت الدية ما أحببت فهم عمرو بذلك فبلغ ذلك أخته كبشه وكانت ناكحا فى بنى الحارث بن كعب فغضبت وقالت شعرًا تعير عمرا(٣):

أرسل عـــبـــد الله اذ حـــان يومـــه إلى قـــومـــه لاتعـــقلوا لهم دمى
ولا تأخـــذوا منهم افـــالا وأبكارا واترك في بيت يصـــعـــده مظلم
ودع عنك عـــمـــرًا أن عـــمـــرًا مـــسالم وهل بطن عـــمـــرو غـــير شبـــر لمطعم
فـــإن أنتم لم تثـــأروا واتديتم فـــمـــشـــوا بآذان النعـــام المصلم
ولا تردوا إلا فـــضـــول نســـائكم إذا ارتملت أعـــقـــابهن من الدم

وقد ذكر حالى هذه الأبيات الستة ويذكر التبريزى فى شرحه لديوان الحماسة بيتًا آخر هو:

---

(١) الأغانى: ٩/ ١٢٥، ابن هشام السيرة النبوية: ١/ ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص٩.

(٣) الأغانى: ١٠/ ٢٣٠ - ٢٣١، ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١/ ٣٧٤، ٣٧٥، الجاحظ: الحيوان: ٤٣/ ٣٩٦.

لا تذكـــروا حـــال الملوك فـــإنكم بعـد الزبير كحائض لـم تغـتـسل[1]

٤ – تناول حالى قدر الشعراء ومنزلتهم عند العرب فى مقدمته وعقد بابًا لهذا الغرض واستعان بآراء النقاد العرب فيقول[2]: « كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليدا لمآثرهم وأشادة لذكره »[3] وقد نقل حالى هذا النص من كتاب « المزهر فى علوم اللغة » لجلال الدين السيوطى ولكنه لم يشر إليه.

٥ – يذكر حالى فى مقدمة شعر وشاعرى[4] « مثالا ثالثًا على تأثير الشعر الجاهلى فيذكر قصة الأعشى مع علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وهجاء الأعشى لعلقمة ومدحه لعامر، وهذه القصة موجودة فى كثير من كتب الأدب وذكرها ابن رشيق فى كتابه العمدة فيقول: لما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة أقاما عند هرم ابن قطبة بن سنان سنة لا يقضى لأحدهما على الآخر إلى أن قدم الأعشى وكان لعامر عنده يد فقال:

علـقـم مـــا أنت إلى عـــامـــر الـنـاقـص الأوتـار والـواتـر

ان تسـد الحـوض فلم تعـدهم وعـامـر سـاد بنى عـامـر

فرواه الناس وافترقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى فى شعره وكان فى رأى هرم على قول أكثر الناس خلاف ذلك وهى قصيدة طويلة فى ستين بيتا تبدأ بقول الأعشى[5]:

شـاقـتك من قـتله أطلالهـا بالشط فـالوتر إلى حـاجـر

وهجا الأعشى علقمة بقوله:

وتبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثي يبتن خمائصا

---

(١) أبي تمام: شرح ديوان الحماسة (شرح التبريزى) جـ١: ص١١٧ – ١١٨.

(٢) حالى مقدمه شعر وشاعرى ص ١٨.

(٣) جلال الدين السيوطى: المزهر في علوم اللغة: جـ٢ ص٤٧٣.

(٤) حالى: مقدمه شعر وشاعرى: ص ١٨ – ١٩.

(٥) الأعشى: ديوان الأعشى ص ١٣٩ – ١٤٧.

فلما سمع علقمة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل ذلك بجاراتنا؟[١].

وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا[٢]

وهذه القصيدة من أشهر قصائد الرثاء وتبدأ بقوله:

مضى لسبيله معن وأبقى مكارم لن تبيد ولن تنالا

وهى قصيدة طويلة وعدد أبياتها خمسة وثلاثون بيتًا إلى قوله:

وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

سيذكرك الخليفة غير قال إذا هو بالأمور بلا الرجالا[٣]

وكان الخليفة المهدى قد أخرجه من بلاطه بعد أن استنشده هذا البيت ولم يعطه أحد سوى جعفرا لبرمكى، وقد جاء ذكر هذا الخبر فى «الأغانى» «فقد دخل مروان بن أبى حفصة على المهدى بعد وفاة معن بن زائدة فى جماعة من الشعراء فيهم تسلم الخاسر وغيره فانشده مديحًا فيه، فقال له: ومن أنت؟ فقال شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبى حفصة، فقال المهدى قد ذهب النوال كما قلت فلما جئت تطلب النوال، لا شيء عندنا، جروا برجله، فجروا برجله حتى أخرج»[٤].

وذكر حالى رثاء معن بن زائدة مرة أخرى فى حديثه عن المراثى الأردية[٥].

٧ - أشار حالى إلى المراثى العربية مرة أخرى فى مقدمته عندما ذكر بيتين قالهما الرقاشى فى رثاء البرامكة وهو الفضل بن الرقاشى وكان من «رقاش» من أهل الرى من المعجم وهو كثير الشعر، قليل الجيد وكان منقطعا إلى البرمكة يمدحهم ويعيش بهم فلما زال أمرهم خرج إلى خراسان واتصل بطاهر بن الحسين ومازال بهاحتى مات[٦] وقد ذكر حالى بيتين هما:

---

(١) ابن رشيق: العمدة: ١/٥٣، ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٦٠، الأغانى: ٩/١٢٠-١٢١، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١/١١١.

(٢) حالى: مقدمه شعر وشاعرى ص ١٩.

(٣) ابن المعتز: طبقات الشعراء: ص٤٥-٤٦، ٥١، ٥٣ ابن قتيبة: الشعر والشعراء جـ٢ ص٧٦٣، ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٤ ص٢٢٠ ابن خلكان: وفيات الأعيان: ترجمة معن بن زائدة ص٢٤٤ - ٢٥١.

(٤) الأغانى: ١٠/٨٧/٨٨.

(٥) حالى: مقدمه شعر وشاعرى ص ١٦٤.

(٦) ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٢٢٦، ٢٢٧.

أمـــــا والله لولا خـــــوف واش وعين للخليـــــفـــــه لا تنام

لطفنا حـــول قـــبـــرك واســـتلمنا كـــمـــا للناس بالحـجـر استـلام[1]

وقد قالها الرقاش عندما رأى جعفر بن يحى البرمكى مصلوبا على الجذع فوقف يبكى وعندما علم هارون الرشيد بذلك أحضره وعنفه. وقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال يا أمير المؤمنين كان إلى محسنًا، فلما رأيته على الحال التى هو عليها حركنى إحسانه فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلت. قال وكم كان يجرى عليك؟ قال ألف دينار فى كل سنة قال: فإنا قد أضعفناها لك[2].

٨ - استشهد حالى ببيت ابن دارج القسطلى الأندلسى فى وصف ابنه الرضيع عندما عزم على السفر كمثال على الشعر الجيد[3].

عـــيـيّ بمرجـــوع الخطاب ولحظه بموقع أهواء النفـــوس خـبـيـر[4]

وهذا البيت من قصيدة يمدح بها ابن دارج المنصور بن أبى عامر ومطلعها:

دعى عـزمـات المستـضـام تسـيـر فـتنجـد فى عـرض الفـلا وتفـور

٩ - عقد حالى بابا باسم «كثرة الحماسة فى الشعر العربى والعبرى»[5] وذكر حالى - متأثرًا برأى أحد الأوربيين أن الشعر العبرى شعر حماسى وأن الشعر العربى تأثر بهذه الحماسة وهذا بالطبع رأى خاطىء لأن الدراسات الحديثة أثبتت عكس ذلك وأن شعر الفروسية فى أوربا تأثر بالشعر الحماسى العربى، ويستطرد حالى قائلاً إن العرب لم يترجموا ديوان شعر يونانيًا واحدًا ضمن ما ترجموه فى أيام الدولة العباسية ويغفل كتاب «فن الشعر» لأرسطو الذى ترجم إلى العربية وقام ابن رشد وابن سينا بدراسته بدقه ولخصوا قضاياه، ثم يذكر حالى أبيات فى الفخر مليئة بالحماس لبشامة بن حزن النهشلى للدلالة على قوة العاطفة فى الشعر العربى وقد نقلها حالى من كتاب الحماسة لأبى تمام وهى قصيدة تحتوى على ثلاثة عشر بيتًا

---

(١) حالى: مقدمه شعر وشاعرى ص ٢٠.

(٢) الأغانى: ١٦/ ٢٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/ ٢٤٩ - ٢٥١.

(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٣٢.

(٤) ديوان ابن دراج القسطلى: تحقيق محمود على مكى ص ٢٩٨ واحمد هيكل: الادب الأندلسى ص ١٣٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/ ١٣٥ - ١٣٧.

(٥) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٥٧.

اكتفى حالى بنقل تسعة أبيات فقط بعد ترجمتها إلى اللغة الأردية مع اعترافه بأن ترجمة الشعر تفسد من جماله ورونقه وهى:

أنا بنى نشـــــهل لا ندعى لاب ... عنه ولا هو بالأبناء يشـــــرينا
أن تبـتـدر غـاية يومًـا لمكرمـه ... تلق الســـــوابق منا والمصلينا
ليس يهلك منا ســـيـــد أبدًا ... إلا افـتلينا غـلامـا سـيـدا فـينا
إنا لنرخص يوم الروع أنفـــسنا ... ولو نســـام بهـــا فى الأمن أغلينا
بيض مـفـارقنا تغلى مـراجلنا ... نأســـو بأمـــوالنا آثار أيدينا
إنى لمن مـعـشـر أفنى أوائلهم ... قـول الكماة ألا أين المحـامـونا
لو كـان فى الألف منا واحد فدعوا ... من فـــارس خـــالهم إياه يعنونا
ولا نراهم وإن حلت مـصـيـبـتـهم ... مع البكاة على من مـــات يبكونا
ونركب الكره أحـيـانا فـيـفـرجـه ... عنا الحـفـاظ وأسـيـاف تواتينا[1]

وقد أخطأ حالى فى ترجمة البيت الثانى من قصيدة بشامة بن حزن إلى اللغة الأردية.

١٠- حاول حالى أن يطبق رأى ميلتون فى الشعر الجيد على الشعر العربى والفارسى والأردى فذكر ستة عشر مثالاً من أشعار هذه اللغات مما ينطبق عليها شرط أو شرطين أو الشروط الثلاثة لميلتون وذكر من هذه الأمثلة مثلين من الشعر هما:

أ - المثل الأول الذى أورده[2] حالى كمثال للشعر الجيد هو قول يحيى بن زياد فى وصف الشيب ولكنه نسبه إلى ابن يحيى بن زيادة:

ولما رأيت الشـــيب لاح بيـــاضـــه ... بمفرق رأسى قلت للشيب مرحبًا
ولو خـفـت أنى كـفـفـت تحـيـتى ... تنكب عنى رمُت أن يتنكبـــا
ولكن إذا مـا حل كـره فـسـامـحت ... به النفس يومًـا كـان للكره أذهبـا

(١) أبى تمام: ديوان الحماسة: شرح المرزوقى: جـ ١، ص ١٠٢ - ١٠٩. - ابن قتيبة: الشعر والشعراء جـ ٢، ٦٣٨.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٦٠.

وهو وصف رائع للشيب وقد نقل حالى هذه الأبيات من ديوان الحماسة لأبى تمام[١].

ب – والمثل الثانى[٢] هو رثاء متمم بن نويرة فى رثاء أخيه مالك الذى قتله عزار بن الأزور وهى أبيات مشهورة نقلها حالى من ديوان الحماسة أيضًا:

لقد لامنى عند القبور على البكا ... رفيقى لتذراف الدموع السوافك

فقال أتبكى كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت له إن الشجا يبعثُ الشجا ... فدعنى فهذا كله قبر مالك[٣]

وهذه القصيدة من أروع قصائد الرثاء وقد تأثر بها عمر بن الخطاب عندما استنشده إياها وقال هذا والله التأبين! ولو وددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى زيدًا بمثل ما رثيت أخاك، فقال متمم: لو كان أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته. فقال عمر: ما عزانى أحد عن أخى بمثل ما عزانى به متمم[٤].

وقد ذكرت هذه الأبيات فى كتب الأدب وقد ذكر أبى على القالى قصة هذه الأبيات فقال «حدثنا أبو بكر فقال: حدثنى أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعى قال: قد كان متمم بن نويرة بالعراق فأقبل لا يرى قبرًا إلا بكى عليه فقيل له: يموت أخوك بالملأ وتبكى أنت على قبر بالعراق!! فقال هذه الأبيات[٥].

ويقول ابن رشد فى تلخيص كتاب «الشعر» لأرسطو بعد ذكر هذه الأبيات: «والنوع الثالث من المحاكاة هى المحاكاة التى تقع بالتذكر وذلك أن يورد الشاعر شيئًا يتذكر به شىء آخر مثل أن يرى إنسان خط إنسان فيتذكره فيحزن عليه إن كان ميتًا ويتشوق إليه إن كان حيًا مثل قول متمم بن نويره فى رثاء أخيه مالك[٦].

---

(١) أبى تمام: ديوان الحماسة (شرح التبريزى) جـ ٣ ص ٧٥ – ٧٦.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٦٠.

(٣) أبى تمام: المرجع السابق جـ ٢: ص ١٤٨ وابن خلكان وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ ٣ ص ١٩٣، ابن رشيق: العمدة ٢١/٧٦.

(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء: جـ ١ ص ٢٠٤.

(٥) أبى على القالى: الأمالى جـ ٢، ص ١.

(٦) أرسطو: فن الشعر: ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٢٥٥.

١١- ذكر حالى[١] المقولة النقدية الشهيرة «أحسن الشعر أكذبه» وذلك عندما تحدث عن قضية الكذب والصدق فى الشعر وهى فى رأيه تنطبق على الشعر الأردى ولكنه يأسف لذلك ويرى ضرورة أن يتمسك كل شاعر بجانب الصدق فى شعره، ولهذه المقولة جذور عميقة فى النقد العربى فما من ناقد إلا وقد تعرض لها.

وقد نقل حالى هذه المقولة من قدامة بن جعفر حيث يقول: «إن الغلو عندى أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديمًا وقد بلغنى عن بعضهم أنه قال: «أحسن الشعر أكذبه» وكذا نرى فلاسفة اليونان فى الشعر على مذهب لغتهم»[٢].

١٢- تحدث حالى[٣] فى المقدمة عن أشعر بيت والتعريف الكامل للشعر واستشهد فى ذلك برأى الأصمعى حينما سأل عن «أى بيت تقوله العرب أشعر» فقال: الذى يسابق لفظه معناه[٤].

وكذلك رأى الخليل بن أحمد: وهو البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته[٥].

ويرى حالى أن تعريف الأصمعى جامع وغير مانع أما تعريف الخليل بن أحمد فهو غير جامع وغير مانع.

١٣- وعقد حالى بابًا فى المقدمة عن «تجنب المبالغة والكذب» واستعان بكتاب «العقد الفريد» فى معظم الشواهد والأخبار التى ذكرها ليدلل بها على آرائه النقدية التى ذكرها فى هذا الباب[٦] ومنها قوله: كان شعراء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ينفرون كثيرًامن الكذب ويعتبرونه من ضمن عيوب الشعر، فقد قال زهير بن أبى سلمى الذى كان شاعرًا من شعراء الطبقة الأولى «أحسن القول ما صدقه الفعل» وله بيت مشهور فى هذا الباب:

---

(١) حالى مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٠.

(٢) قدامة بن جعفر: نقد الشعر ص ٩٤.

(٣) حالى: المرجع السابق: ص ٧٢.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٦/ ١٥١.

(٥) ابن عبد ربه: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) حالى: المرجع السابق: ص ٧٧ - ٧٨.

وإن أشـــعـــر بيت أنت قـــائله بيت يقـال إذا أنشـدته صـدقًا[1]

وقد نسب حالى لزهير قوله «أحسن القول ما صدقه الفعل» وهو ليس لزهير بل هو تعقيب لابن عبد ربه على بيت زهير المنسوب خطأ إليه وهو لحسان بن ثابت.

ثم يقول حالى: «وينسب لسيدنا عمر بن الخطاب قوله فى زهير« إنه أشعر الشعراء لأنه لا يمدح إلا مستحقًا» وقد نقله حالى بتصرف من كتاب «العقد الفريد»[2] حيث يحكى ابن عبد ربه قوله: قال عمر لابن عباس أنشدنى لأشعر الناس الذى لا يعاضل بين القوافى ولا يتبع حوشى الكلام. قال: من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال زهير بن أبى سلمى فلم يزل ينشده من شعره حتى أصبح وكان زهير لا يمدح إلا مستحقًا كمدحه لسنان بن أبى حارثة وهرم بن سنان».

وأشار حالى فى نفس الباب إلى مقولة معاوية فى الشعر وقد ذكره ابن عبد ربه فى كتابه فقد «بعث زياد بولده إلى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالمًا بكل ما سأله عنه، ثم استنشده الشعر فقال لم أر ومنه شيئًا!

فكتب معاوية إلى زياد: ما منعك أن ترويه الشعر؟ فوالله إن العاق ليرويه فيبر وأن البخيل ليرويه فيسخو وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل»[3].

وفى معرض حديث حالى عن المبالغة والصدق والكذب فى الشعر يذكر قول أبى نواس فى مدح الرشيد:

وأخـــفت أهل الشـــرك حـــتى أنه لتـــخـــافك النطف التى لم تخلق

وقد اعترض عليه الناس فكيف يمكن للنطفة التى لم تخلق بعد أن تخاف؟ فلم يكن فى صف أبى نواس سوى البعض الذين أقروا بصحة ما جاء به بالتأويل ولم يستطع البعض الآخر أن يقول فيه شيئًا[4].

وقد نقل حالى[5] هذا البيت من العقد الفريد «واستفاد من شرح ابن عبد ربه له

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٠٤.

(٢) ابن عبد ربه: المرجع السابق، نفس الصفحة، العمدة: ١/٩٨.

(٣) الأغانى: ١٠/٢٨٩، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء: ١/٦٣ - الشعر والشعراء، جـ١، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٠٨.

(٥) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٨.

حيث يقول: «وقد عاب الناس قول الحسن بن هانى فقالوا: كيف نخاف من النطف التى لم تخلق؟ ومجاز هذا قريب إذا لحظ أن من خاف شيئًا خافه بجوارحه وسمعه وبصره والنطف داخله فى هذه الجملة، فهو إذا أخاف أهل الشرك أخاف أهل النطف التى فى أصلابها»(١). ويرى أن الشعر العربى كان بعيداً عن الكذب والمبالغة سواء كان فى المدح أو فى الهجاء ويذكر مثال على ذلك قصة المتوكل مع أبى العيناء وهى أن المتوكل قال لبعض الشعراء ذات يوم «إلى كم تمدح الناس وتذمهم» فقال: «ما أساءوا وأحسنوا ثم قال نعوذ بالله أن نكون كالعقرب تلسب النبى والذمى».

وقد استشهد كثير من النقاد العرب بهذا البيت فذكره القاضى الجرجانى فى كتابه «الوساطة» فى حديثه عن أغلاط أبى نواس(٢) وذكره قدامة فى كتابه «نقد الشعر» وكذلك المرزبانى فى (الموشح)(٣).

كما أشار حالى إلى قول بنى تميم لسلامة بن جندل أحد شعراء العصر الجاهلى عندما قالوا له: «مجدنا بشعرك» قال: «افعلوا حتى أقول»(٤) وذكر حالى هذا القول ليثبت به أن العرب لا يمدحون أحد ولا يذمون أحد إلا بما فيه.

١٤- قام حالى بعقد باب بعنوان «متى ينظم الشعر» ونقل فيه العديد من آراء النقاد العرب وأقوالهم فى العملية الشعرية مثل أن: «القريحة تصفو أكثر من الشعر فى أول الليل وقبل الكرى وأول النهار وقبل الغذاء»(٥) وقد نقل حالى هذا الرأى من «العقد الفريد» حيث يقول فى باب «أحسن ما يجتلب به الشعر»: «وأسلس ما يكون الشعر أول الليل وقبل الكرى وأول النهار وقبل الغذاء وعند مناجاة النفس واجتماع الفكر وأقوى ما يكون الشعر عندى على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة»(٦) وقد تأثر حالى بابن عبد ربه فى تسمية هذا الباب.

ثم يذكر حالى قول أحد الحكماء «لم يستدع شارد الشعر بأحسن من الماء الجارى

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٥٩. أبى نواس: ديوان أبى نواس ص ٦٢، طبعة محمود أفندى واصف، ط ١ القاهرة ١٨٩٨م.

(٢) القاضى الجرجانى: الوساطة ص ٥٦.

(٣) المرزبانى: الموشح ص ٧٨.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٠٤.

(٥) حالى: المرجع السابق ص ٩٧.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٥٢، ابن رشيق: العمدة: ١/٢٠٨.

والمكان الخالى والشرف العالى» ولم يذكر حالى صاحب هذا القول ولكن ابن رشيق قد نسب هذا القول للأصمعى[١]. إلا أن حالى لا يوافق على هذه الآراء التى أجمع عليها الشعراء والنقاد ويقول: «إن أحسن مناسبة يقول فيها الشاعر شعره هى عندما توجد لديه الرغبة الشديدة الملحة فى نظم الشعر بدون تكلفة سواء كان فى الغابة أو فى الروضة، فى مكان عامر أوخراب أو فى حديقة أو أرض فقراء أو عند الماء الجارى أو الأرض القاحلة»[٢] على أننا لو قرأنا الجزء الأخير من القول الذى نقله حالى من العقد الفريد وهو «وأقوى ما يكون الشعر عندى على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة» نجد أن حالى لم يأت بجديد فى هذا الرأى ولم يتعد رأيه هذا عن شرح لرأى ابن عبد ربه.

ثم يستشهد حالى بعد ذلك بقصة أبى العتاهية مع أبى نواس حيث قال أبو العتاهية له ذات مرة: «أنت الذى لا تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك؟ قال: وكيف ينبغى أن يقال إلا على هكذا؟ قال: أما أنا أقوله على الكنيف! ولذلك توجد فيه الرائحة»[٣].

إلا أن حالى لا يوافق على الرأيين ويقول: إن نظم الشعر فى رأيى يحتاج إلى العاطفة والرغبة الصادقة لا إلى باقات الزهور ولا إلى الجلوس فى الكنيف[٤].

ويؤكد قوله هذا بنقل قول كثير عزة: قيل لكثير عزة لما تركت الشعر؟ قال: ذهب الشباب فما أعجب وماتت عزة فما أطرب ومات ابن أبى ليلى (أى عبد العزيز بن مروان) فما أرغب»[٥].

وكذلك قول الفرزدق: أنا أشعر الناس عند اليأس وقد يأتى على الحين وقلع ضرس عندى أهون من قول بيت شعر[٦] «وينقل قول الحزيمى عندما قيل له: ما بال مدائحك لمحمد بن منصور أحسن من مراثيك قال: كنا حينئذ نعمل على الرخاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد»[٧].

---

(١) ابن رشيق: العمدة: ١/٢٠٦.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ٩٧.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ ٦، ص ١٥١.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ٩٧.

(٥) ابن عبد ربه: المرجع السابق ص ١٥٢.

(٦) ابن عبد ربه: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٧) ابن عبد ربه: المرجع السابق بنفس الصفحة وابن قتيبه: الشعر والشعراء جـ ١، ص ٧٩.

ثم يعود حالى مرة أخرى ليذكر أن من دواعى قوة الشعر الرغبة والرهبة فيقول «والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس أن كثير عزة والكميت وهما شيعيان غاليان فى التشيع كانت مدائحهما فى بنى أمية أشرف وأجود منها فى بنى هاشم وما لذلك عليه إلا قوة أسباب الطمع»(١).

١٥- ثم يتطرق حالى بعد ذلك إلى موضوع «السرقات الأدبية» ويسلم بأن المتأخرين يستفيدون دائمًا من أفكار القدماء وموضوعاتهم وأساليبهم ويذكر قول كعب بن زهير كدليل على ذلك:

وما أرانا نقول إلا معارًا ... أو معادًا من قولنا مكرورا(٢)

وقضية «السرقات الأدبية» من أهم القضايا التى أولاها النقاد العرب برعايتهم فما من ناقد إلا وتحدث عنها بالتفصيل حتى أن ابن رشيق قد ألف كتابًا فى السرقات الأدبية ولم يكتف بالباب الذى ذكرها عنها فى كتابه العمدة، وكان ابن قتيبة من أوائل النقاد الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع فيقول: «لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص قومًا دون قوم بل جعل الله ذاك مشتركًا مقسومًا بين عباده فى كل دهر وجعل كل قديم حديثًا فى عصره»(٣) ويقول ابن رشيق: «إن ما يؤكد كلام ابن قتيبة كلام على رضى الله عنه «لولا أن الكلام يعاد لنعد» وقول عنترة: «هل غادر الشعراء من متردم» يدل على أنه يعد نفسه محدثًا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئًا وقد أتى فى هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم ولا نازعه إياه متأخر وعلى هذا القياس يحمل قول أبى تمام:

يقول من تقرعه أسماعه ... كم ترك الأول للآخر

فنقضى قولهم «ما ترك الأول للآخر شيئًا»(٤).

وقد نقل حالى الشطر الثانى من بيت أبى تمام «كم ترك الأول للآخر» مع «ما ترك الأول للآخر شيئًا» وقد نقلهما حالى من كتاب العمدة لابن رشيق بعد أن ذكر أنهما

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٦ ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) كعب بن زهير: ديوان كعب ص ١٥٤.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٥.

(٤) ابن رشيق: العمدة: ١/ ٩١.

قولان متناقضان[١].

١٦- ويؤكد حالى على أن المحدثين كانوا يستفيدون من القدماء ويدلل على هذا ببيت أبى نواس:

ولـيـس عـلـى الله بـمـسـتـنـكـر أن يجـمـع العـالـم فى واحـد[٢]

وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها الفضل بن الربيع ويستعطف عليه هارون الرشيد ومطلعها:

قـولا لـهـارون إمـام الـهـدى عند احـتـفـال المجلس الحـاشـد

أنـت عـلـى مـا بـك من قـدره فليـست مـثـل الـفـضـل بالواجـد

أوجـده الله فـمـا مـثـلـه لـطـالـب ذاك ولا نـاشـد

إلى أن يصل إلى البيت الذى ذكره حالى[٣] وقد اعترف أبو نواس بأنه أخذ معنى هذا البيت من بيت جرير:

إذا غـضـبـت عـليـك بـنـو تـمـيـم حـسـبـت الـنـاس كـلـهـم غـضـابًا[٤]

وهذان البيتان من الشواهد التى ذكرتها كتب البلاغة والنقد فى باب «السرقات الأدبية» وقد ذكرهما حالى عند تناوله لهذه القضية ويرى أنه ليس عيبًا أن يأخذ المحدث من القديم ويستفيد منه وأن هناك أمثلة «عديدة» لذلك فى الآداب الشرقية ثم يذكرا أمثلة على ذلك من الشعر الفارسى والأردى وانتقال الأفكار من أحدهما إلى الآخر فيذكر بيت شعر لميرتقى مير أخذ معناه من سعدى الشيرازى ويذكر أن الشاعر الفارسى عرفى قد استقى معنى بيت الشعر هذا:

هركس نه شنا سنده رازست وگـرنه اينها همه رازست كه معلوم عوام است[٥]

من الآية الكريمة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

[الإسراء: ٤٤].

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) أبى نواس: ديوان أبى نواس ص ٨٧.

(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٢١.

(٤) جرير: ديوان جرير: ص ٣٠ - ٣١.

(٥) ليس كل امرىء من عارفى الأسرار وإلا، ستكون هذه الأسرار كلها معروفة لدى عامة الناس.

وبعد ذلك يعقد حالى مقارنة[1] بين ستة أقوال مأثورة وأمثال عربية وبين أبيات شعر لسعدى الشيرازى تتضمن معانى هذه الأمثال مما يؤكده أن سعدى الشيرازى قد اقتبس معانى هذه الأبيات من الأمثال العربية:

الأمثال العربية:

١ – الكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل.

٢ – الصمت زينة العالم وستر الجاهل.

٣ – راع أباك يُراع ابنك.

٤ – سناء ذكاء لا يزول من دعاء الخفافيش.

٥ – السعيد من أكل وزرع والشقى من مات وودع.

٦ – السلطان أحوج إلى العقلاء من العقلاء للسلطان.

أبيات سعدى الشيرازى:

سگ بدریای هفتگان بشوی — چونکه ترشد بلید ترباشد
تراخا مشی أی خد اوند هوش — وقارست ونا اهل راپرده پوش
توبجای پدرچه کردی خبر — تاهمان چشم داری ازپسرت
شیره کرنور آفتاب نخواهد — رونق بازار آفتاب نکاهد
نیک بخت آنکه خوردوکشت — وبدبخت آنکه مرد وهشت
بادشاهان بخرد مندان محتاج — تراند که خرد مندان به پادشاهان

ثم يقارن حالى[2] بين بيت شعر لمير درد أخذ معناه من آية قرآنية وهو:

دل بهی تیرے بهی دهنگ سیکهاهے — آن میں کچهه ان میں کچهه[3]

فقد أخذ معناه من الآية الكريمة ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

١٧– ثم يعود حالى إلى موضوع المراثى العربية عند حديثه عن فن الرثاء الأردى ومحاولة إصلاحه فيؤكد على أن المراثى العربية تصف الأحداث الواقعية وصفات الموتى

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٢٥.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ١٣٤.

(٣) بعد تعلم القلب أيضًا أسلوبك، فهو فى آن شىء وفى آن شىء آخر.

الحقيقية واستشهد حالى فى ذلك بالمراثى التى قالتها بنات عبد المطلب بعد وفاته وهن يصفنه بأوصاف حقيقية ولكن حالى لم يذكر أبيات من هذه المراثى[١].

ويقول ابن هشام: أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته وكن ست نسوة: صفية وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء، وأميمة وأروى فقال لهن: ابكين علىّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت فقالت صفية تبكى أباها:

ارقت لصوت نائحه بليل ... على رجل بقارعه الصعيد

ففاضت عند ذلكم دموعى ... على خدى كمنحدر الفريد

على رجل غير وغل ... له الفضل المبين على العبيد[٢]

وقالت بره:

أعينى جوداً بدمع درر ... على طيب الخيم والمعتصر

على ماجد الجدوارى الزناد ... جميل المحيا عظيم الخطر

وقالت أم حكيم البيضاء:

ألا ياعين جودى واستهلى ... وبكى ذا الندى والمكرمات

ألا يا عين ويحك اسعفينى ... بدمع من دموع هاطلات[٣]

وقالت أميمه:

ألا هلك الراعى العشيرة ذو الفقد ... وساقى الحجيج والمحامى عن المجد

ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته ... إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد

وقالت أروى:

بكت عينى وحق لها البكاء ... على سمح سجيته الحياء

على سهل الخليقه اسطحى ... كريم الخيم بيته العلاء[٤]

---

(١) حالى: المرجع السابق ص ١٥٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: جـ ١ ص ١٠٥.

(٣) ابن هشام: المرجع السابق ص ١٠٦.

(٤) ابن هشام: المرجع السابق ص ١٠٧.

وقالت عاتكه:

أعـينى جـودا ولا تبـخـلا بدمـعكمـا بعـد نوم النيـام

أعـينى واسـحنفـرا واسكبـا وشـوبا بكاء كـمـا بالتـدام

وذكر حالى فى مقدمته[1] مثالاً آخر من المراثى العربية وهو رثاء الشريف المرتضى لأبى إسحاق الصائى اعترافًا بعلمه وهى المعروفة بمرثية علم الهدى ولم يذكر حالى أى بيت من أبياتها وهى:

مـا كـان يومك يا أبا إسـحـاق إلا وداعـى لـلـمـنـى وفـــراق

وأشـد مـا كـان الفـراق على الفـتى مـاكـان مـوصـولا بغـيـر تلاق

ولقـد أتانى من مـصـابك طارق لـكـنـه مـا كـان كـالطرق

وهى قصيدة طويلة تقع فى خمسة وخمسين بيتًا وتنتهى بقوله:

وإذا مـضـيـت وفـيـك فـضل باهر فـيـمـن نسلب فـأنت حى باق

وقالها الشريف المرتضى فى رثاء أبى إسحاق الصابئ يتذكر أيامه لما كان بينه وبين هذا البيت من الألفة المتأكدة[2]. وكان إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابئ الحرانى صاحب الرسائل المشهورة وكان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار من معز الدولة بن بويه الديلمى ويحكى أن الخلفاء والأمراء أرادوه كثيرًا على الإسلام وأداروه بكل حيلة حتى أن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة أن أسلم فلم يهده الله للإسلام كما هداه لمحاسن الكلام وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ويخدم الأكابر أرفع خدمة ويساعدهم على صيام شهر رمضان ويحفظ القرآن حفظًا يدور على طرف لسانه[3].

وذكر صاحب «الفهرست» أنه ولد سنة نيف وعشرين وثلثمائة وتوفى قبل سنة ثمانين وثلثمائة ودفن بالشونيزى[4].

وقد رثاه الشريف الرضى أخا الشريف المرتضى أيضًا بقصيدته الدالية المشهورة ومطلعها:

---

(١) حالى: تقدمه شعر وشاعرى ص ١٦٤.

(٢) الشريف المرتضى: ديوان الشريف المرتضى: جـ ٢ ص ٢٤٩.

(٣) الثعالبى: يتيمه الدهر: ٢/ ٢٤١-٢٤٢.

(٤) ابن النديم: الفهرست: ص ١٣٤.

أرأيت من حـــملوا على الأعـــواد؟ أرأيت كـيف خـبـا ضـيـاء النادى

وهى قصيدة طويلة تصل إلى اثنين وثمانين بيتًا وقد عاتبه الناس فى ذلك لكونه شريفًا يرثى صابئًا فقال: إنما رثيت فضله(١).

ويبدو أن حالى كان يقصد الشريف الرضى صاحب الرثاء المشهور فى أبى إسحاق الصابئ وليس الشريف المرتضى.

وقد أبدى حالى إعجابه بالمراثى العربية فذكر منها أمثلة عديدة كما مر بنا ولعل شعر المراثى بالذات كان أقرب إلى نفس حالى من غيره سواء كان فى اللغة العربية أو الأردية، ويبدو تأثره بذلك فى المسدس فهو رثاء للمسلمين فى شبه القارة ونلمح الحزن والحداد بين سطوره وفى كلماته، لذلك كان هذا الفن هو أحب فنون الشعر عند حالى فحاول إصلاحه فى الشعر الأردى وحض الشعراء على أن يقلدوا الرثاء العربى الصادق الذى لا يتعدى الحقيقة.

وإلى جانب هذه الأصول النقدية التى استفاد حالى بها فى مقدمته نراه يستشهد فى أماكن كثيرة فى المقدمة بأمثلة عربية مثل «النادر كالمعدوم»(٢) و«خذ ما صفا ودع ما كدر» وكذلك بجزء من حديث نبوى شريف هو:

«إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله»(٣).

ويتضح مما سبق أن حالى قد تأثر تأثراً بالغا فى مقدمته بالنقد العربى القديم والحديث ونقل فى «مقدمة شعر وشاعرى» آراء نقدية وشواهد شعرية عربية كثيرة فى محاولة يائسة لتأصيل مفهوم جديد لنظرية نقد الشعر الإسلامى المتمثل فى شعر اللغة العربية والفارسية والأردية، لذلك نراه يستشهد كثيراً فى مقدمته بالشعر العربى فى المدح والرثاء والهجاء والفخر وكذلك بالقرآن الكريم والحديث النبوى والأمثال العربية والأقوال المأثورة، ونراه يرجع إلى كتب العقد الفريد ومقدمة ابن خلدون والعمدة والشعر والشعراء والأغانى وألف ليلة وليلة وطبقات فحول الشعراء وغيرها من الكتب العربية محاولاً بذلك تأصيل نظرية نقدية محددة يلتزم بها النقاد والشعراء من بعده وذلك

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/ ٥٢، ٥٣، ٥٤.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٢.

(٣) يشير إلى الحديث النبوى الشريف «إن فى القلب لمضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب».

للمرة الأولى فى الشعر الأردى ولكن ما كان حالى يصبو إليه لم يتحقق لان الشعراء الذين جاءوا بعده تمردوا على هذه الأصول التى لم يكن حالى نفسه قد التزم بها فى ديوانه.

وقد جاءت معظم آراء حالى النقدية مبتثرة وناقصة ولم تتسلسل آراؤه بمنطقية بل إنه لا يكاد يبدأ فى قضية نقدية حتى يتركها إلى أخرى دون أن يفصل القول فيها إلا نادراً – ودون أن يكون قد خرج برأى ذى قيمة منها فى قضية نقدية وبآراء متناقضة فى أخرى كأن ينفى قضية ثم يثبتها في نفس الوقت لذلك لم تتعد المقدمة عن كونها تجميعاً غير منظم للآراء النقدية العربية فى القضايا المختلفة وخاصة فى تحديد مفهوم الشعر والشعر الجيد والردئ وقضية اللفظ والمعنى والكذب والمبالغة والصدق وخصائص الشعر الجيد وغيرها من القضايا التى اهتم بها الشعر العربى قديمًا وحديثًا.

وقد أخطأ حالى فى كثير من المواضع التى نقل عنها الأمثلة أو الشواهد الشعرية فكان يختصر بعضها وينسب بعضها لآخرين ويخطىء أحياناً فى اسم الشاعر الذى ينسب إليه الأبيات، فلم يرجع حالى فى باقى النصوص والنقول ومصادر النقد واللغة مباشرة بل رجع إلى مصادر أخرى وردت بها هذه النصوص كما رأينا فيما مضى عندما نقل ما نسبه لابن رشيق من نصوص من مقدمة بن خلدون لذلك أرجح أن يكون حالى لم ير كتاب العمدة لابن رشيق.

وكان من جراء عدم اعتماد حالى على المصادر الأصلية والنقل عنها مباشرة أن أخطأ كثيراً فى الأخبار الصحيحة ورد الآراء النقدية إلى أصحابها، وفى حين يذكر حالى النصوص والأقوال والأشعار العربية كما هى باللغة العربية وأحياناً أخرى يترجمها إلى اللغة الأردية ولم تكن ترجمته جيدة فى بعض المواضع.